

*عبد الله جنوف | Abdallah Janouf

النبز في الثقافة السياسية التونسية

Insult in Tunisian Political Culture

ملخص: تُستعمل في تسمية خطاب الإهانة السياسية كلمات كثيرة، منها "الوصم" و"الشتمة" و"التراشق" ... إلخ. لكنها ليست مصطلحات خاصة بها، بل ترد في سياقات مختلفة. وينطلق البحث من شرح هذه الكلمات ثم يقترح مصطلح "النبز" لتسمية الإهانة السياسية، ويعرّفه بأنه "لقب مهين يخترعه المتكلم في سياق خاص ويسمى به خصمه لتشويهه". ثم يحلل البحث كلمات وعبارات كثيرة من الخطاب السياسي التونسي في فيسبوك، ويحاول أن يستدل على فكرة أساسية هي أن النبز ليس خطاب سخرية فقط، ولا أداة خصومة أيديولوجية، بل هو خطاب ثقافة سياسية تشكلت في دولة التسلط، ثم كانت من أسباب فشل انتقال الديمقراطية في تونس.

كلمات مفتاحية: النبز، الوصم، الشتمة السياسية، خطاب الإهانة، الثقافة السياسية.

Abstract: The main Arabic words used to describe political insults are "smear" (*wasm*), "slander/insult" (*shatīma*) and "trading barbs" (*tarāshuq*)... However, these words appear in different contexts and are not specific to a political insult. This article begins with an explanation of these expressions, then proposes the term (*nabz*) to designate the political insult. Thus, it defines (*nabz*) as an outrageous descriptor used in a special context to attack political opponents. The article's main premise is that (*nabz*) (political insult) is not only a discourse of ridicule and humiliation, and a means of ideological dispute, but also of political culture that originated with the despotic state – one of the reasons why democratic transition failed in Tunisia.

Keywords: *Nabz*, Stigmatization, Political Ridicule, Insult, Political Culture.

* أستاذ مساعد في المعهد العالي للعلوم الإنسانية، مدنين، تونس.

Assistant professor at Higher Institute of Humanities, Medenine, Tunisia. Email: ajanouf@gmail.com

مقدمة

خطاب الإهانة جزء من الحياة السياسية⁽¹⁾. وأكثر ما غالب منه في تونس قبل الثورة إهانة النظام لمعارضيه. ثم أخذ تبادل الإهانة يتسع في القنوات الإلكترونية، ثم ارتفعت القيد بعد عام 2011، وراج خطاب الإهانة بلا قيد ولا شرط، فتعارف عليه الناس، وأصبح له معجمٌ متعاظم وأساليبٌ منوعة، منها النبذ. ولا شك في أن النبذ أداة فعالة في خصومة سياسية أيديولوجية شرسة، لكن هندسة استعماله في عشرية الانتقال الديمقراطي في تونس تمكّن من اختبار فرضية بحثية هي أنه خطاب ثقافة سياسية.

تقتضي هذه الفرضية توضيحين: الأول أن خطاب الإهانة في تونس أساليب منوعة، منها ما يُعرف بـ"الغشة"، وهي المجازات الجنسية⁽²⁾؛ ومنها ما يسمى "الكلام الزايد"، أي البذيء، وهو المعجم الجنسي خاص، وكثيراً ما يقترب به سب الدين؛ ومنها الشتيمة والسب؛ ومنها "النَّبَزِيَّاتُ"، وهي تسمية مجملة لعبارات السخرية والإهانة مباشرةً وغير مباشرةً؛ ومنها "التبَرِيرُ"، مصدر من الفعل "بَرَرَ"، والفاعل "بَرَّارُ"، والمرة منه "تَبَرِيرَةٌ"، وتطلق على عبارات السخرية من كل شيء؛ ومنها "الكلاش" Clash في فن الراب، وهو "هجاء" يوجهه الرابر Rapper إلى خصمه ابتداءً أو ردًّا. ويطلق "الكلاش" أيضاً على سخرية/إهانة/انتقاد كل سياسي لخصمه، في مقاطع فيديو مركبة من كلام شخصيتين تبادلان التهم والتهديد. وقد يؤخذ مقطع من كلام نائب أو مسؤول سياسي ينتقد فيه

(1) في اقتران الصراع السياسي باستعمال الشتائم، ينظر مثلاً:

Claire Oger, "La conflictualité en discours: Le recours à l'injure dans les arènes publiques," *Argumentation et analyse du discours* (Août 2012), accessed on 6/3/2023, at: <https://shorturl.at/DINS7>

ليست الدراسات الفرنسية والإنكليزية التي اطلعت عليها مخصصة لخطاب الإهانة السياسية فقط، وليس فيها تبييز لصنف معين من الخطاب المهين. بل تتعلق بما أسميه في هذه الدراسة الشتيمة والوصم والنبذ. ويغلب عليها استعمال كلمتين "insulte/ insult" و"injure". وفيها تحليل لخطاب الإهانة: سياقاته وأساليبه وبنيته ومقاصده، في مجتمعاتها. وهي مساعدة على فهم النبذ بالمعنى المستعمل في هذا البحث. وأكثري هنا بالإحالة إلى بعض المراجع، ولا سيما الملفات في المجالات العلمية:

Laurence Rosier, *Petit traité de l'insulte* (Charleroi: Editions Labor, 2007); Laurence Rosier (dir.), "Insulte, violence verbale, argumentation," *Argumentation et analyse du discours* (Août 2012), accessed on 6/3/2023, at: <https://shorturl.at/ekxzH>; Caroline Mellet (dir.), "De l'insulte," *Cahiers de praxématique*, vol. 58 (2012); Cécile Leguy & Évelyne Larguèche (dirs.), "L'adresse indirecte ou la parole détournée," *Cahiers de littérature orale*, vol. 7 (2011), accessed on 6/3/2023, at: <https://shorturl.at/BMX78>

في هذا الملف، ينظر خاصة:

Bertrand Masquelier, "Dire et chanter des mots qui fâchent"; Évelyne Larguèche, "Adresse indirecte et injure?"; ينظر أيضاً:

Dominique Lagorrette et al., *Les insultes en français: De la recherche fondamentale à ses applications* (Chambéry: Presses Universitaires Savoie Mont Blanc, 2009); Dominique Lagorrette, "Insultes et conflit: De la provocation à la résolution—et retour?" *Akofena*, no. 3 (Octobre 2020), accessed on 6/3/2023, at: <https://shorturl.at/cfhCP>; Claudine Sagaert, "L'injure et l'insulte: Une question de laideur," in: Mireille Corbier & Gilles Sauron (dirs.), *Langages et communication: Ecrits, images, sons* (Paris: Éditions Du Comité Des Travaux Historiques et Scientifiques, 2017), pp. 65–72; Reski Kartini Addas, "Analysis of Insult as Humor in the Context of Politics through Stand-up Comedy Show," *Journal of Language, Literature and Teaching*, vol. 4, no. 2 (2022), pp. 44–62; Alvin Ping Leong, "The Language of Insults: A Look at Theme, Rheme and Negative Inferences," *Explorations in English Language and Linguistics*, vol. 10, no. 1 (2022), pp. 1–21.

(2) "الغشة" هي استعمال مفردة أو عبارة ظاهرها عادي، وباطنها جنسي، القصد منه السخرية والإهانة. ويُتوصل إلى هذا المعنى بالأساليب البلاغية، مثل التورية والكلامية والاستعارة، ولذلك اختصرتها في كلمة المجاز.

خصمه، ويسمى "كلاش"⁽³⁾ أيضاً، ومنها "الوصم" والشتمة" و"التراشق"، وهذه المفردات الثلاث هي المستعملة في الصحافة لتسمية الإهانة السياسية. وسيتعلق البحث بموضوع هذه المفردات دون غيرها من الكلمات المذكورة آنفًا. وسأصف أهم خصائص استعمالها، ثم أقترح مصطلح النبذ لتسمية الإهانة السياسية، وأعمل اقتراحٍ.

التوضيح الثاني، أستعمل الثقافة السياسية باعتبارها "تلك القيم التي تعزز أو تُضعف (تدعم أو تقوض) منظومة معينة من المؤسسات السياسية، أو ذلك التوزيع المعين لأنماط التوجهات السياسية والسلوك تجاه النظام السياسي ومركياته المتعددة، والسلوك تجاه دور الذات الإنسانية (الفرد، المواطن) في هذا النظام"⁽⁴⁾، وستكون الأbaz المدروسة متعلقة بالعناصر المذكورة في هذا التعريف. فدراسة الأbaz في تجربة من التجارب السياسية تمكّن من معرفة جانب من القيم المنتجة للثقافة السياسية في تلك التجربة.

سأفصل هذه المعاني في ثلاثة مباحث وخاتمة. الأول في ضبط مصطلح النبز؛ والثاني في تصنيف الأنبىأز وتفكيكها؛ والثالث في صلة النبز بالثقافة السياسية.

أولاً: ما النيز؟

تُستعمل في تسمية خطاب الإهانة السياسية كلمات، أشهرها ثلاث: الوصم والشتيمة والتراشق. الوصم مصطلح معروف في الدراسات الاجتماعية، ويعني تسمية شخص بأسماء سلبية، تحرمه من التقبل الاجتماعي، وتشعره بالتمييز والإهانة والنبذ لاختلافه عن سائر الأشخاص⁽⁵⁾. ويكون الاختلاف في خصائصه الجسمية أو العقلية أو النفسية أو الاجتماعية. وقد استقر مصطلح "الوصم" في مجال الدراسات الاجتماعية، وهو أليق بها من حيث الأصل المعجمي، فالوصم في اللسان هو "العيب يكون في الإنسان، وفي كل شيء". لكن كون العيب في الإنسان، لا يعني أن له وجوداً طبيعياً مستقلاً خارج عملية الوصم، فثقافة المجتمع هي التي تحدد العيب، وتبرر الوصم.

وستعمل كلمة "الشتمة" استعمالاً واسعاً جداً في الكتابة الصحفية، وتعني كل كلام يستعمله المتكلم لإهانة خصمه. فتكون أفالطاً نابية (المعجم الجنسي)، أو تشبيهاً بالحشرات والحيوان، أو صفةً بالجهل أو الفذارة أو الكذب ... إلخ، أي كل ما يقع عليه تعريف الشتمة في العربية، وهي "قيح الكلام والسب".

وأخذ التراشق من المعجم العسكري، من "رُشَقَ" أي "رمي بالنبال". وتراثق الفريقان: رمي كل واحد منهما الآخر. وتنفيذ صيغة "تفاعل" المشاركة، وتشير إلى سياق الصراع والمواجهة، لكنها لا تحدد

(3) مدخلان ممكناً لدراسة الانتقال الديمقراطي في تونس: مدخل "خطاب الإهانة" بجميع أشكاله المذكورة ومدخل أدب السخرية، وهو النصوص الساخرة التي استعملت الأيات استعمالاً أدبياً. لكنهما مهمان.

(4) عزمي بشارة، *الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة* (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 420؛ عزمي بشارة، *في المسألة العربية: مقدمة لبيان ديمقراطي عربي* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007)، ص 87.

(5) هذا معنى عام في تعريف الوصم يكفي لتمييزه من التبز، وينظر التفصيل في تعريف المصطلح في: بروس ج. لينك وجو ك. فللان، "مفهوم الوصمة"، ترجمة ثائر ديب، عمان، مع، 8، العدد 31 (قانون الثاني/يناير 2020)، ص 143 وما بعدها.

موضع التراشق، هل هو وصم أم شتيمة أم نبذ أم غير ذلك. فتُستعمل الكلمة أحياناً في معنى التقادف بالشيء، كما في "التراشق بالنسبة والأرقام (في الانتخابات)، والتراشق بالتهم"؛ وتشتُّتُ الكلمة أيضاً في معنى تبادل الأنماط والشتائم، وتكون مقرونة بمعنى "السياسي" (التراشق السياسي).

فائدة هذه الكلمات الثلاث أنها حددت خصائص العملية الموصوفة بها، وهي:

1. السلبية، أي استعمال كلمات تهين المقصود بها، وتسلبه خصائصه الإيجابية، وقد تكون الكلمة مما يعتبره المجتمع كلاماً نابياً.

2. المشاركة، أي تعدد الأطراف المستخدمة الكلمات المذكورة، فلا بد من وجود طرفين على الأقل.

3. الصراع، أي إن العلاقة المستفادة من صيغة "تفاعل" (تراشق، تشارم) هي علاقة صراع، فكل طرف يحرص على إهانة خصمه، وينافسه على التقبل الاجتماعي أو السلطة ... إلخ.

هذه الخصائص الثلاث موجودة في الظاهرة المقصودة بالدراسة، وهي التراشق بـ"الكلام المهين/ السلبي" في المجال السياسي. ومن أجل تسميتها تسمية دقيقة، بحثت في المعجم والتجربة عن كلمة أخرى غير الوصم والشتيمة والتراشق. فوُجِدَت في لسان العرب: "النبَّرُ بالتحريك اللَّقَبُ ... والنَّبْزُ بالتسكين المصدرُ [...][نَبَّرٌ يَنْبَزُ نَبْزًا، أَيْ لَقَبٌ، وَالْأَسْمَ النَّبْزُ [...][وَتَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ أَيْ لَقَبٌ بَعْضَهُمْ بَعْضًا. وَتَنَابَزُ التَّدَاعِي بِالْأَلْقَابِ، وَهُوَ يَكْثُرُ فِيمَا كَانَ ذَمَّاً [...][وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ لَقَبٍ يَكْرَهُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ]." وتشتمل هذه المادة المعجمية على ثلاثة عناصر، هي التمييز بين فعل الإهانة (النبَّرُ) والكلمة المستخدمة فيه (اللقب = النَّبْزُ)؛ وصيغة المشاركة الدالة على الصراع (تَنَابَزُ)؛ والتخصيص، فالنبَّرُ ليس سبًّا وشتمًا بقيمة الكلام، بل هو استعمال لقب يكرهه الإنسان. والسياق هو الذي يحدد متى يكون استعماله إهانة.

أما في التجربة، فوُجِدَتُ أَنْبَازًا كانت مستعملة في الصراع/ الجدل السياسي العقدي القديم. ومنها أن الواقفة سُمِّيت بالممطرة، لقول علي بن إسماعيل الميشي لبعض رجالها: "ما أنت إلا كالاب ممطرة"، قال النوبختي: "فَلَزَمُهُمْ هَذَا الْلَّقَبُ فَهُمْ يُعْرَفُونَ بِهِ الْيَوْمَ"⁽⁶⁾؛ ومنها أن الشيعة سُمِّيت بالرافضة، وروى الطريحي في مادة "نبَّرٌ" من معجمه "مجمع البحرين" حديث "إِنَّا قَدْ نَبَّرْنَا يَنْبَزُ انْكَسَرَتْ لَهُ ظُهُورُنَا"⁽⁷⁾، أي تسمية الشيعة بالرافضة. و"الممطر" في المعجم، هو الذي أصابه المطر، والرافض هو الذي يرفض شيئاً. فلا صلة للفظتين بقيمة الكلام في الأصل المعجمي، ولا في الاستعمال، وليس لهما إدراً دلالة سلبية، إنما تنشأ الدلالة السلبية من سياق الكلام. ويمكن أن يقع النَّبْزُ بأي كلمة إذا كان سياق استعمالها ملائماً لذلك⁽⁸⁾. وما يقال في النَّبْزُ يصبح قوله في الوصم أيضاً، إلا أنَّهما يختلفان في كون الوصم لقباً

(6) أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، كتاب فرق الشيعة، يعني بتصحيحه هلموت ريتز، النشريات الإسلامية 4 (إسطنبول: مطبعة الدولة، 1931)، ص 69.

(7) الشيخ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسيني، مجلد 3 (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 2007)، ص 347.

(8) يراجع في هذا المعنى:

متعلقاً بعيّبٍ/ نقصٍ قائم بالموصوم في ثقافة المجتمع، كعمى الأعمى وسمنة السمين وسود الأسود وفقر الفقير، وكون النبز لقباً مختاراً يحدد السياق دلالته؛ ويختلفان أيضاً في استقرار مصطلح الوصم في الدراسات الاجتماعية، وعدم استقرار النبز في السياسة.

نأخذ الآن الخصائص المشتركة (السلبية والمشاركة والصراع) بين الكلمات الأربع (الوصم والشتيمة والتراشق والنبز)؛ ونخرج من تقييد الصفة القائمة بالموصوف في الوصم إلى معانٍ الاختراع والاشتقاق في اللقب/ النبز؛ وننتقل من غموض التراشق، ومن عموم الشتيمة ومبادرتها، إلى صناعة النبز من كلام عادي في سياق خاص؛ ونخصص النبز للإهانة السياسية. ويمكن حينئذ تعريف النبز بأنه "لقب مهين يخترعه المتكلم في سياق خاص، ويسمى به خصميه لتشويهه". وبهذا التعريف يخرج من مجال الدراسة "التراشق" لعمومه وغموض موضوعه، وتخرج الشتيمة؛ إذ لا اختراع فيها، فتسمية سياسي لخصمه بالحشرة والجرذ والعميل والخائن والجرثومة واللص جمعٌ لمفردات اللغة، لا صناعة فيه ولا اختراع، ويهبطُ إلى مستوى الخطاب العامي اليومي. ويتميز الوصم والنبز، فال الأول تسمية لصفة قائمة بالموصوف في المجال الاجتماعي، والثاني اختراع للقب يطلق على المخالف في المجال السياسي؛ ويتدخلان من جهة أثر الاتماء السياسي في نشأة الوصم. فتسمية سياسي سمين بـ"الكركدن" مثلاً، ليست ناشئة من خاصيته الجسمية (السمن)، بل من انتماهه الحزبي الذي يجعل خصومه يخترعون الوصم ويستعملونه في الصراع السياسي.

يبدو بهذا التوضيح، أن "الوصم" مجاله الاجتماعي لا السياسي، والشتيمة عامة مشتركة ليس لها دقة المصطلح واحتراصه، والتراشق مفردة غامضة تصف تبادل الشتائم ولا تسمى النبز في نفسه، ولا تدقق المصطلح ولا تخصص استعماله في المجال السياسي. فلهذا اخترتُ مفردة "النبز" وخصيتها في الاصطلاح بما يُخرجها من العموم والاشتراك. فصار لها معنيان: أحدهما معجمي عام وهو أن النبز كل لقب يكرهه الإنسان، والثاني اصطلاحي خاص تقتربه هذه الدراسة⁽⁹⁾.

(9) لم أجد في حدود اطلاعِي دراسة أكاديمية عربية في النبز، لكن توجد دراسات ومقالات صحافية في الشتائم عامة، أو الشتائم السياسية. ومن الدراسات الخاصة بالشتيمة في البلدان الإسلامية المنشورة في ملف خاص:

"L'injure, la société, l'islam une anthropologie de l'injure," REMMM, no. 103–104 (2004), accessed on 8/7/2023, at: <https://bit.ly/3O0RlfR>

وجمع عمرو المنشاوي الشتائم وشرح معانيها في الاستعمال العربي. لكنه سمي أسلوب الإهانة كلها شتيمةً، وفي كتابه مداخلٌ كثيرة غير دقيقة، منها: "ممنوع الانتصاف: يستعملها التونسيون بمعنى وقوف السيارات"، وهو غير صحيح؛ "طحان: تعني في تونس اللوطبي. مع أنه يعني في اللغة الفصيحة [...] الذي يطحّن الطحين لصناعة الخبز. فتحولت الدلالة لتشير إلى لزوم قوة الطحن من أجل مضاجعة الذكر". وهو استنتاج خاطئ ولا صلة له بكلمة طحان. ينظر: عمرو المنشاوي، قاموس الشتائم المصرية: أصول وحكايات الشتائم (القاهرة: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع، 2017). ويمكن الإشارة أيضاً إلى كتاب صدر في تونس، وضم مجموعة مقالات بالعربية والفرنسية، وهو في تأثير اللغة بحدث الثورة، لا في دراسة النبز:

Bourguiba ben Rejeb (dir.), *Le parler révolutionnaire: Ruptures et dérives* (Tunis: Institut supérieur des langues de Tunis, 2017).

ثانيًا: تفكيك النبز

يعلم من يتبع صفحات التونسيين في موقع فيسبوك، أنه لا يمكن استقصاء الأنبار، إذ لا يخلو منها مجال، ولا تستثنى مسؤولاً أو مؤسسة، ولا تحترم مقاماً، ويستوي في اختراعها وتدالوها جمهور عريض على شدة تنوّعه واختلافه. بل تدل التعليقات والتدوينات السياسية على أن استعمال الأنبار أصبح منوال كتابة وأنتج "معجماً" جاهزاً، تُنقل مفرداته من سياق إلى سياق، ومن اسم إلى اسم، وتُغرس الكتابة "السياسية" في السخرية.

سأحلل في هذا المبحث مجموعة من الأنبار تتعلق بالأحزاب والنواب والبرلمان والاتجاهات السياسية والفكريّة والمفاهيم السياسيّة والجمعيات والنقابات والصحافة والرئاسة والشخصيات الأكاديمية العامة.

1. الأحزاب وقادتها وقواعدها

حُرفت "النهضة" إلى "النّكبة" و"النّهبة" و"النّهقة". ويغمر كل نبز الحركة بدلّات سلبيّة تُستعمل في سياقات متعددة: النّكبة للكوارث والمصائب والهزائم، والنّهبة للفساد وسرقة المال العام، والنّهقة للشّتم والسبّ والسبّة. ثم يؤدي اجتماعها إلى إخراج الاسم الأصلي من الاستعمال، أو جعل الأنبار ملزمة له، كأنّها شرح لمعناه، فتقترن النّهضة بمعانٍ الحرمان والفشل والهزيمة والفساد والغباء والصوت المزعج. وقد تُثبت هذه المعانٍ السلبية بالصور، فيُستبدل بالحّمامات في شعار الحزب رأس حمار. وحُرف اسم رئيسها (رائد) الغنوشي، فُدُعي "الحّتنّوشي" و"الحّتنّوش" في اللهجة التونسيّة صغيرُ الخنزير (الخِنْوَص). ولا يكاد يُذكر الخنزير إلا في السياقات السلبية التي يعول النابز على ثقافة المخاطب الشعبيّة ليستحضرها كلّها عند استعمال النبز. وُسُمي أيضًا "ابن آوى" لمكره السياسي الذي يسميه أنصاره التكتيكي، وُسُميَت ابنته سميّة "أميرة المعد الأزرق"، وأشاع خصومها أن الدولة سهلت لها صفقات تجارية هائلة بعد عام 2011، فرآكمت ثروة طائلة؛ وُسُمي مقر الحركة الرئيس في مونبليزي - ولوّنه أزرق كشعار الحركة - بـ"المعد الأزرق"، وفي التسمية تداخل معقد بين الدين والسياسة والمقدس والدنيوي والورع والجشع والغموض والأسرار؛ وتُضاف إلى هذه المعانٍ الدلالات على الجنس في تسمية المقر بـ"هضبة اللذة"، وهي تعرّب لاسم الحي Montplaisir الذي يوجد فيه⁽¹⁰⁾؛ وُسُمي قادة النّهضة وأتباعها بـ"الدواعش" لحرص خصومهم على محاربة التمايز بين "الإسلام السياسي" والحرّكات الدينية العنيفة. وُبَرَزَ "ائتلاف الكرامة" بأنه "باراشوك" النّهضة". وقد بدأ الائتلاف تحالفًا سياسياً وتكللاً انتخابياً، ثم أصبح حزباً. واحتُرخ خصومه النبز من صورة الواقي من الصدمات في السيارة Pare-chocs، ليغدوا استقلالية الحزب، فيبدو درعًا تحمي بها النّهضة، وأداةً تشق بها طريقها في الانتخابات وتكوين الكتل في البرلمان ومجادلة الخصوم الأيديولوجيّين والسياسيّين. وينحط هذا النبز إلى الشّتيمة، فيوصف "الائتلاف" أو أحد قادته بأنه "كبش نطّيح"⁽¹¹⁾ (كبش معد للنطاح). وأما الناطق الرسمي باسمه، سيف الدين مخلوف (وهو محام ومشارك بارز في الثورة، ونائب سابق ومتّرشح لرئاسيات 2019)، فُدُعي "زيف الدين مرحّوف" (المسترخي). وانتشر

(10) حي Montplaisir في العاصمة تونس، يُعرّب في الاستعمال بمونبليزي، وفي النبز بمركب إضافي: mont هضبة، و plaisir لذة.

(11) "كبش النطّيح" هو الذي يُقتني للمشاركة في "مصارعة الكباش"، ولها في تونس تقاليد متّعة، وميادين تُنظم فيها.

نيل "المرخوف"، لأنه يستعمل في الخطاب اليومي في وصف غير الحازم، والمشبه بالنساء. وله بالمعنى الثاني دلالة جنسية سلبية.

يُقلب أيضًا لقب "نور الدين البحيري" إلى "نور الدين تعويضات"، ويشير النيل إلى قضية تعويض ضحايا النظام التسلطى منذ الاستقلال. وقد أدى الإعلام وصفحات البروباغندا في الوسائل الاجتماعية دوراً كبيراً جدًا في "إقاع" كثيرين من التونسيين بأن أتباع النهضة نالوا تعويضات جزيلة، أصبحوا بها أثرياء، وأنهكت اقتصاد البلاد المتهالك. وترتب على هذه الرسالة استنتاج استطاعت وسائل الإعلام تثبيته، وهو أن كل ما سماه الإسلاميون نضالاً ومقاومة للدولة التسلطية ليس إلا نشاطاً بمقابل، لم يسألهم أحد أن يخوضوه، ولم يأذن لهم أحد في تقاضي تعويض عنه بعد الثورة. وشاع على الألسن وفي صفحات فيسبوك استعمال عبارة مهينة هي "بقداش كيلو النضال؟" (كم ثمن الكيلوغرام من النضال؟)، واستعين بنيل آخر مشهور في العالم العربي، يطلق على الإسلاميين خاصة، وهو "تجار الدين". وبهذا التركيب خرج النقاش من الحديث عن مقاومة الاستبداد ومحاسبة المستبد وضررية الحرية والمصالحة الوطنية والانتقال الديمقراطي وحق الضحية في جبرضرر ... إلخ، وإنهمك الناس في تبادل التهم.

كان صهر الغنوши رفيق عبد السلام قد تخلى عن لقبه العائلي "بوشلاكه" (الهاء لا تنطق). فلما صار وزيراً للخارجية في حكومة الترويكا، أصر خصومه على استعمال اللقب الأصلي لتنكيره بأصوله الشعبية، ولحصر صورته الإعلامية في معانٍ سلبية تقترب في الذاكرة الشعبية بـ"الشلاكة"، أي النعل (شحاطه، شيش)، وهي لا تُلبس في المؤسسات الرسمية التونسية مهما كانت جودتها، وتُستعمل في الكلام في سياقات سلبية كثيرة، يترجمها بكثافة شديدة وصف كل شخص مكروه أو خبيث أو خسيس بأنه "شلاكة". واشتقولوا له من اسمه الأصلي اسمًا آخر هو "أبو شيش الشيراطوني"، فالكنية (أبو شيش) إشارة إلى عادة التكنى في الحركات الدينية العنيفة؛ وللقب مشتق من "نزل الشيراتون" الذي أقام فيه رفيق عبد السلام وهو وزير، واستقبل فيه قرينته، فاخترع خصومه من الحادثة قصة حب نيلًا يذكره بلقبه العائلي وينسبه إلى الإرهاب ويرميه بتهمة أخلاقية.

أما جمهور النهضة المدافع عنها في المواقع الإلكترونية، المهاجم لخصومها، فيُسمى "الذباب الأزرق". والنيل تصرف في عبارة "الذباب الإلكتروني"، لونه كل جهة سياسية بلون خصومها: "الذباب الأزرق" من النهضة، والذباب البرتقالي من التيار الديمقراطي، والذباب الأحمر من اليسار. ثم ظهر لون آخر، لكنه لم يشهر: "الذباب الأخضر"، سُمي به المدافعون عن سياسة قيس سعيد الذي خرجت زوجته في يوم الاستفتاء على الدستور (25 تموز/ يوليو 2022) بفستان أخضر.

يُستنق الوصم من صفة حَلْقَيَة في المنبوز، كما في تسمية لطفي زيتون (كان أحد قادة النهضة بـ"الكركدن"). وسمي الحبيب خضر مقرر دستور عام 2014 (من النهضة) "خنفوس الفول". ويربط الوصم بين الموقف السياسي وما يعتبره الواصم بُحِّا في الصورة، ليثبت عند جمهوره "اعتقاد" قبح رأي الموصوم لا دمامة صورته فقط، فلا يصدر منه إلا الموقف الخاطئ والفكرة المضطربة. وسبب الوصم ليس قبح الصورة أو اضطراب الخلقة، لكن الرأي السياسي والاتجاه الفكري، لا يقبلهما المخالف،

ولا يملك ثقافة محاورتهما، فيختبر من صورة مخالفه الخلقية وصماماً يهينه به. ومن هذه الجهة يكون الاسم المخترع وصماماً في الظاهر، نبذاً في الحقيقة.

من الألقاب ما يُشتق من السلوك السياسي، ومنها "الزغراطه" وهو نبز أطلق على عبير موسى لحماستها قبل الثورة في تأييد بن علي، ومشاركتها في حفلات حزبية، تغنت فيها بشعار "الله وَحَدَّ الله وَحَدْ وَبِنْ على ما كيفو حَدْ"⁽¹²⁾. وَتُسْتَعْمَل عبارة "الله وَحَدْ" للتعبير عن الإعجاب، مثل "ما شاء الله"، وكثيراً ما يخاطب بها الأطفال، وتُقال لحماية موضوع الإعجاب من عين المعجب. وَتُبَرَّزت "موسى" بأنباز أخرى منها "بنت الشعبة" و"الصبايحية" و"الإماراتية" و"الفاشية". وخلافة دلالاتها في أمرتين: الأولى أنها بوق دعاية: لا تمثل فكراً، ولا تحمل مشروعًا سياسياً، وليست مستقلة في مواقفها، بل هي وظيفية تابعة لنظام مستبد أو جهة أجنبية. والثانية أنها عنصرية شعبوية⁽¹³⁾، تستغل الديمقراطية التي فسحت لها مجال المشاركة السياسية وأوصلتها إلى البرلمان، وتعنى لإعادة إنتاج النظام القديم.

ويُشتق من اسمها نبز أتباعها، فيسمون "العَبُورِيَّين"، من "عَبُورَة"، والأصل أن "عَبُورَة" نوع من ترخيم "عَبِير" في اللهجة التونسية، لكن القصد هنا السخرية. ولا يُستبعد أن يكون في نسبة أتباعها إليها خلفية جندية تحظى من قيمة المرأة وقيمة من يكون تابعاً لها من الرجال خاصة. ومن أنباز أتباعها أيضاً "بنو طحنون"، و"طحَاحِين". والأول مأخوذ من "طحنون بن زايد"، لأن معارضي "موسى" يتهمونها بالتنسيق مع الحكومة الإماراتية لإفشال الانتقال الديمقراطي. ثم استخرجوا من اسمه جمعاً آخر هو "طحَاحِين"، إلا أن المفرد منه ليس "طحنون" بل "طحَان". ويُقال إن أصل الكلمة "طحَان" اشتُقَت من تقطية القوات الفرنسية رؤوسَ عمالئها وجواسيسها من التونسيين بأكياس الطحين في الشوارع والمحاكم لئلا يعرفهم الناس. أطلقها عليهم الوطنيون الرافضون للاستعمار. ثم أطلقت الكلمة على الخائن والواشي أيًّا كان مشعله. فلذلك سمي سُعاة الحزب الحاكم دائمًا بـ"طحَانة الشُّعبَة/ الحزب". ثم توسيع الناس في الاستعمال، فسموا "طحَانًا" من يتسمُّ بالمسؤولين، ومن يعد بالمساعدة ويخلف، ومن يتقاус عن نجدة صديقه. وتطلق الكلمة أيضًا على الديوَث. وتسميةُ أنصار عبير موسى بـ"الطحَاحِين" شتيمةٌ تكشف هذه المعاني كلها. وتقابلها أنباز أطلقت على أتباع شخصيات أخرى. فجمهوُر "النهضة" "غناييش" (من اسم رئيسهم "الغنوشي")؛ وأتباع "ائتلاف الكرامة" "مراخيف" جمع "مرخوف"؛ وأتباع قيس سعيد "زفافته" (من زفافته) - وسأعود إلى شرح هذا النبز - وـ"زِمَارِيَّة قيسون" وـ"مَزَمِّرِيَّة"⁽¹⁴⁾ وـ"زِمَّرَة". ويدلُّ اشتقاء اسم الأتباع من اسم رئيس

(12) "وَحَدْ": واحد؛ وـ"ما كِيْعُو حَدْ": لا نظير له. ومعنى الجملة أعلاه إعجابٌ بين علي ودعاء بحفظه وحمايته. وـ"ما شاء الله" تُطلق "ما شالله".

(13) تُضاف إلى اسم النسبة "واو" للدلالة على أن النسبة ليست حقيقة، بل ادعاء يوظف فيه المنسوب ما تُسبّب هو إليه توظيفاً أيدلوجياً. وفيها أيضاً معنى التغيير والازداء. فيقال: إسلامي وشعبي في النسبة إلى الإسلام والشعب، وإسلامي وشعبي للتعبير عن المعنى المذكور. وهذه الواو لا أصل لها في النسبة النصيحة، وإن شاعت في الاستعمال. وجاءت في المعاجم العربية كلمات فيها نون زائدة منها "صَيْقَنْ"، وهو الطفيلي الذي يأتي مع الضيف ويأكل الطعام الذي قدمه إليه مُضيئه. وأقترح أن تأخذ هذه النون، ونسميهما نون الادعاء، ونضيفها إلى اسم النسبة للتعبير عن معنى الادعاء الأيدلوجي. فالمنسوب إلى الشعب شعبي، وإلى العلم علمي، وإلى الحداثة حداثي، وإلى الإسلام إسلامي. والمنسوب إلى ادعاء هذه الأمور شعبي وعلماني وحداثي وإسلامي.

(14) "زماريَّة" وـ"زِبَّرَة" من التزمير، وهو أصوات أبواق سيرات الدعاية السياسية في الشوارع. وـ"مَزَمِّرِيَّة" تبدو في الظاهر من هذا المعنى، وهي في الحقيقة جمع "مَزَمَّر"، والمزمر هو الفقير والأحمق والساذج. وكل من يُرثى لحاله فهو "مزَّمَر".

الحزب أو الزعيم على أن الأحزاب في المتخيل الشعبي، مثل الطوائف الدينية والطراقي الصوفية، الاتساع والهوية فيها مستفادان من شخص الرئيس/ الزعيم، والأتباع ظلال لشخصه. وتوهم الأنبار (الغنايش، المرافق، العبوريون) والشائم (الطاحين، القطيع الإخواني، القطيع اليساري) أن الاتساع إلى الأحزاب ليس تعاقداً على مشروع سياسي، بل تقليل وطاعة عمياء. ثم يسكت النبز عن أخطر حقيقة مُضمرة، وهي أن قتل السياسة وتخريب الثقافة السياسية يمكن أن لسيادة العقل العامي، وتكوين جمهور لسياسي، ويمهدان لفرض سلطوية مطلقة يُعدّ خطاب الإهانة الناس لتقبلها.

صيغة النبز في "غنايش، مراحيض"، والشتم في "طاحين" من الكلام اليومي، وصيغة "زقافنة" و"زميرة" من وضع المتعلمين "المثقفين"، فرقفونة كلمة مهجورة تُستعمل في سياقات تعليمية قليلة. ولا يُستعمل وزن "زميرة" للجمع في اللهجة التونسية. ويدل هذا التنوع على استواء جميع المهتمين بالشأن العام في استعمال النبز اختراعاً وترويجاً.

يشتق اللقب أيضاً من العلاقة الزوجية، كما في "رَاجل سامية"، وهو نبز قُصد به محمد عبو (رئيس حزب وزير سابق)، و"سامية" زوجته. وصيغة "رَاجل فلانة" (أي زوجها) مألوفة في الخطاب اليومي. وأما في النبز، فالعبارة كثيفة، تشمل على طبقات من المعنى. أولها أنها تمحو صفات المقصود بالنبيز كلها: اسمه ولقبه ومهنته وتاريخه السياسي، وتحتصر معرقاته في اسم واحد هو أنه "رَاجل سامية"، لا هوية له من نفسه، ولا يُعرف إلا بزوجته. والثانية أن الاسم مأخوذ من صورة الرجل في علاقته بزوجته في المتخيل الشعبي، فالمتعارف عليه أن يكون فارضاً رأيه، غالباً، على زوجته، فإذا بدا منه تراخي أو انقياد لها، اتّخذه الناس سخرة. فأراد خصوم عبو التعبير عن تبعيته لزوجته وانقياده لآرائها وموافقتها انقياداً امتحن فيه شخصيته. ولذلك نُبز السياسي اليساري حمّه الهمامي بالصيغة نفسها، فسمّاه خصومه "رَاجل راضية"، يعرضون ببطالته، ويُسخرون من زعيم "حزب العمال" الذي يقولون إنه لم يستغل في حياته بعمل، واكتفى بما تكسبه زوجته المحامية راضية النصراوي. والثالثة أن الحزب الذي يرأسه عبو - زوجته عضو فيه - "شركة زوجية"، الأمر والنهاي فيها للزوجة، ولا قيمة فيها ولا أثر للمؤسسات الحزبية.

تُستعمل كلمة "غواصة" لوصف من يندرس في حزب أو تنظيم ليكون جاسوساً لحزب آخر. وراجت كثيراً في تسمية المتهمنين بأنهم عيون "حركة النهضة" في المؤسسات الحكومية والأحزاب. وهي نبز يرتفع عن الشائم المستعملة في ما يقارب معناه (مثل: صَبَابْ، قَوَادْ، بَيْدُقْ، هِيدُوق⁽¹⁵⁾، ويُطلق على كبار المسؤولين الذين يصر خصومهم على تصفيفهم سياسياً، وينفون استقلاليتهم، ويجعلونهم "جواسيس" لشخصيات أكثر نفوذاً أو لأحزاب سياسية.

(15) "الصَّبَابْ"، مبالغة من "صب"، وهو المُخْبِرُ الذي يتخصص في الأخبار وينقلها بمقابل. ويسمى أيضاً "فَوَادْ". و"الهِيدُوقْ" هو الذي يعمل في شعبة حزبية، يجمع الأخبار وينقلها إلى رؤسائه، أو إلى السلطة الأمنية في بلدته، ويستقبل شخصيات الحزب في مقر الشعبة والمؤسسات الرسمية، ويحيي ويصفق. وقد ينال مكافأة ضئيلة وقد لا يصيغ شيئاً. وتنُسَعَ الكلمة مسافة أحياناً، فيقال "هِيدُوقْ شُبَّة". يراجع في أصل الكلمة واستعمالها في تونس: أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، لجنة من وزارة الشؤون الثقافية (محرر)، بيج 4 (تونس: الدار العربية للكتاب، 2001)، ص 15.

أطلق نizer "الشبيح" على كل مؤيد لبشار الأسد من التونسيين، ونبز "حزب البراميل المتفجرة" على "حركة الشعب"، وهي حزب قومي تونسي مؤيد لبشار وسياسته، والسبة إليه "براميلي". وأهم دلالات النبز تأييد الاستبداد، والاستهانة بدماء الشعوب، ومعاداة الحرية والديمقراطية، والتناقض، فالموصوفون بـ"الشبيحة" وـ"البراميليين"، يعيشون بحرية في التجربة الديمقراطية التونسية، ويطلبون لغيرهم بالدكتاتورية والحكم العسكري. وهم، عند نابزيهم، جسم سياسي مجهي يعادى الديمقراطية لعدم شعبيته وفشلـه في إقناع المواطنين بفكرة ومشروعه وعجزه عن الاستمرار من غير حماية المستبد.

2. البرلمان والنواب

تُسمى عبير موسى " Ubir Moussi "، لافتـالـنـسبـةـ بينـهاـ وبينـموـشـيـ دـايـانـ (ـعـسـكـريـ وـسـيـاسـيـ صـهـيـونـيـ)،ـ والإـسـارـةـ إـلـىـ أـنـهـاـ تـفـنـذـ سـيـاسـةـ صـهـيـونـيـةـ،ـ غـايـيـتـهـ إـفـشـالـ الـاـنـتـقـالـ الـدـيمـقـرـاطـيـ فـيـ تـوـنـسـ.ـ وـيـقـلـبـ اـسـمـهـ أـيـضـاـ "ـعـبـيرـ روـتـانـاـ"ـ وـ"ـعـبـيرـ روـتـانـاـ أـفـلـامـ"ـ،ـ وـالـمـعـنـىـ وـاـحـدـ،ـ هـوـ أـنـ مـشـرـعـهـاـ أـفـلـامـ تـؤـديـ فـيـهـاـ دـورـاـ وـظـيفـيـاـ لـالـإـزـراءـ بـالـمـؤـسـسـاتـ الـدـيمـقـرـاطـيـةـ الـنـاشـئـةـ،ـ وـإـيـاهـاـ تـوـنـسـيـنـ بـأـنـهـاـ شـخـصـيـةـ وـطـنـيـةـ مـقـصـودـةـ بـالـتـصـفـيـةـ.ـ وـيـخـتـارـ مـعـارـضـوـهـاـ مـشـاهـدـ منـ "ـأـفـلـامـهـاـ"ـ،ـ مـنـهـاـ الصـيـاحـ بـالـمـصـدـحـ وـحـمـلـ سـتـرـةـ وـاقـيـةـ مـنـ الرـصـاصـ فـيـ الـبـرـلـانـ،ـ وـمـنـهـاـ الـتـظـاهـرـ بـالـإـغـمـاءـ فـيـ وـقـةـ اـحـتـاجـاجـيـةـ نـظـمـهـاـ حـزـبـهـاـ فـيـ 7ـ تمـوزـ/ـ يـولـيوـ 2022ـ لـرـفـضـ مـشـرـعـ الـاسـفـنـاءـ عـلـىـ الدـسـتـورـ،ـ وـمـنـهـاـ صـيـاحـهـاـ:ـ "ـقـنـاصـهـ"ـ (ـجـ).ـ قـنـاصـ فـيـ الدـارـجـةـ الـتـونـسـيـةـ)ـ عـنـدـمـ رـأـتـ شـابـينـ أـعـزـلـينـ وـاقـفـيـنـ عـلـىـ سـطـحـ بـيـتـ يـتـابـعـانـ كـلـمـتـهـاـ فـيـ أـنـصـارـهـاـ فـيـ مـدـيـنـةـ الـوـرـدـانـيـنـ).ـ (ـ16ـ).

تُسمى محربـيـ العـبـيـديـ (ـالـنـائـبـ الـأـوـلـىـ لـرـئـيـسـ الـمـجـلـسـ الـوـطـنـيـ التـأـسـيـسـيـ).ـ تـوـفـيـتـ فـيـ 22ـ كانـونـ الثـانـيـ /ـ يـانـيـ 2021ـ)ـ أـيـضـاـ "ـالـحـارـزـةـ"ـ،ـ أـيـ المـرـأـةـ الـتـيـ تـتـولـىـ تـدـلـيـكـ النـسـاءـ فـيـ الـحـمـامـ.ـ وـمـهـنـةـ الـحـارـزـةـ مـحـتـرـقةـ اـجـتـمـاعـيـاـ،ـ تـضـطـرـ إـلـيـهـاـ الـأـرـامـلـ وـالـيـتـيمـاتـ وـالـفـقـيرـاتـ،ـ وـتـقـتـرـنـ فـيـ الـمـتـخـيـلـ الـشـعـبـيـ بـالـفـقـرـ وـالـمـهـانـةـ وـالـاشـتـغـالـ بـتـافـهـ الـأـحـادـيـثـ).ـ وـأـمـاـ "ـمـحـرـبـيـةـ"ـ،ـ فـمـؤـنـثـ "ـمـحـرـزـ"ـ،ـ وـمـحـرـزـ اـسـمـ الـمـتـصـوـفـ الـتـونـسـيـ الـمـشـهـورـ مـحـرـزـ بـنـ خـلـفـ،ـ الـمـتـوـفـيـ فـيـ عـامـ 413ـهـ،ـ وـلـهـ فـيـ الـعـاصـمـةـ مـقـامـ يـزارـ،ـ وـمـكـانـةـ كـبـيرـةـ عـنـدـ سـكـانـهـاـ،ـ وـيـعـرـفـ عـنـهـمـ باـسـمـ "ـسـلـطـانـ الـمـدـيـنـةـ).ـ وـلـذـلـكـ يـسـمـيـ الـتـونـسـيـوـنـ أـبـنـاءـهـمـ "ـمـحـرـزـ"ـ وـبـنـاتـهـمـ "ـمـحـرـبـيـةـ".ـ لـكـنـ النـبـزـ يـخـتـرـعـ صـلـةـ اـسـتـقـاـقـيـةـ بـيـنـ "ـمـحـرـبـيـةـ"ـ وـجـذـرـ (ـحـ رـزـ)،ـ وـيـقـلـبـ اـسـمـهـاـ "ـحـارـزـةـ"ـ؛ـ وـلـعـلـهـ

(16) الوردانين (مدينة صغيرة في ولاية المنستير)، في 26/8/2022. وتدعي أيضاً "عفروة"، وفي هذه التسمية انحراف بالاسم من العبير إلى البعير، ويطلق هذا الوصف عادة على المرأة القصيرة الغليظة. ومن أشهر ما دعيت به " Ubir موسى ". وقلب الأسماء من أساليب النبز، لكن الخروج من الإنسانية إلى الحيوانية يجعل الكلمة شديدة.

(17) ينظر في التعريف بمهمة الحارزة: خولة الفرشيشي، "الحارزة في حمامات تونس ... تبني جسدها لتهب المتعة لأجساد الآخريات"، رصيف 22، 2023/3/6، شوهد في 2023/4/4، في: <https://shorturl.at/mnGJT>; سماح الدرديدي، "يسون ناشطات سياسيات بعمرلي ... تونسيات يعملن في مهن هشة ومحترقة"، رصيف 22، 2021/1/10، شوهد في 2023/3/5، في: <https://shorturl.at/rAX24>

(18) يُقال في حكاية شعبية إن ابن عروس (له في العاصمة ضريح يزار كضريح محرب) غضب يوماً على أهل تونس، فهم بإلقاء المدينة كلها في البحر، فأدركه "سيدي محرب"، وقال: "أهـدـاـ [ـهـدـأـ،ـ عـلـىـ رـسـلـكـ]ـ يـاـ اـبـنـ عـرـوـسـ".ـ فـكـفـ اـبـنـ عـرـوـسـ وـقـالـ:ـ خـارـزـ مـحـرـزـ يـاـ تـونـسـ"ـ [ـدـعـاءـ مـعـنـاهـ إـلـقـارـ بـأـنـ نـجـاهـ تـونـسـ بـمـحـرـزـ،ـ فـهـوـ الـذـيـ أـحـرـزـهـاـ وـنـجـاهـاـ].ـ وـأـمـاـ فـيـ التـارـيـخـ،ـ فـقـدـ تـوـفـيـ محـرـزـ فـيـ عـامـ 413ـهـ،ـ وـتـوـفـيـ اـبـنـ عـرـوـسـ فـيـ عـامـ 868ـهـ.ـ وـأـخـرـ الـأـشـطـةـ الـعـلـمـيـةـ الـتـيـ دـارـتـ أـعـمـالـهـاـ عـلـىـ شـخـصـيـةـ محـرـزـ،ـ نـدوـةـ "ـمـحـرـزـ بـنـ خـلـفـ فـيـ عـصـرـهـ وـعـصـرـنـاـ".ـ نـظـمـتـ فـيـ الـمـكـتـبـةـ الـوـطـنـيـةـ الـتـونـسـيـةـ بـمـنـاسـبـةـ مـئـوـيـةـ الـمـيـلـادـيـةـ،ـ فـيـ 28ـ جـانـوـيـ 2023ـ).

يسخر أيضًا من لباس النائبات الإسلاميات: طويل فضفاض كأنه لباس حارزة، ويعتبرهن عديمات ذوق، قياسًا إلى رؤية لأنّاقة تحصرها في الهيئة الأوروبيّة. ثم يتسلق النبز إلى رتبة أخرى، فيسمّي كل نائبة حارزة، ويمحو المعانوي الإيجابيّة كلها في اسم محززية، ويمحو شخصيّة كل نائبة، ويجعلهن كتلة واحدة باهتة تعكس صورة نمطية مركبة من جميع الصفات السلبية في المرأة في المتخيل الشعبي. وتصبح هذه الصورة معيارًا لتقييم ثقافة النائبة ونشاطها السياسي.

نبّذت سامية عبّو (نائبة في المجلس التأسيسي، ثم في البرلمان) بـ"العياطه" لرفعها صوتها في مداخلاتها البرلمانية. وكانت تُعدّ من نائبات الثورة، وحققت بمخالاتها القوية في مسألة المسؤولين شعبية كبيرة. ووصفها جمهورها المنزع بـ"اللبوة" لردوتها الحاسمة على عبير موسى والغنوشي وغيرهما. فإذا أغضبت بكلامها جزءًا من جمهورها، وإذا وافقت "موسى" في مسألة تغيير رأي الجمهور، فأخرجوها من "الصف الثوري"، وسمّوها "العياطه" (الشديدة الصرامة، أو التي لا تحسن إلا الصرامة)⁽¹⁹⁾، وقُرّنوا بها بـ"الزغراطه" (عبير موسى)، وقالوا إنّهما "وجهان لعملة واحدة".

سُمي نائب "التيار الديمقراطي" هشام عَجْبُونِي بـ"هشام جَعْبُونِي". أخذ النبز من العامية "جَعْبُونِ"، وتعني المتكلف الذي يحشر أنفه في ما لا يُتقنه ويدعى معرفة كل شيء. وللكلمة صلة بالـ"جَعْبَة" (القناة، مثل قناة الماء ونحوها) التي تُطلق على المدعى والمتعاطم والمتفاخر بصفات ليست فيه. وتجري في الاستعمال اليومي عبارة "الطَّيِّب جَعْبَة"، وهي اسم علم وهمي لتسمية من هذه صفتة. وستُستعمل من الجذر نفسه كلمة فعل "يَتَجُوَعِبْ" أي يدعى ما ليس له، ويظاهر بمعارف أو خبرة لا يملكها. وتعمل الصورة المركبة من المفردات الثلاث (جَعْبُونِ، جَعْبَة، يَتَجُوَعِبْ) على محو المعانوي الإيجابيّة التي يمكن أن تستفاد من "عَجْبُونِي"، وأهمها الإعجاب المقترب عند التونسي بأغنية شعبية جزائرية شهيرة في تونس: "يا صالح يا صالح يا قمح البَلَيُونِي، وعيون على صالح كُحُلْ وعَجْبُونِي". فالسياسة بهذا المعنى "تَجُوَعِبْ" أي ادعاء لا معرفة معه ولا خبرة ولا مبدأ.

ينبئ هذا المعنى على ظاهرة الطروء على السياسة بعد الثورة. فقد تَجَمَّعَ أشخاص لم يكن لهم ماضٍ سياسي معروف، وقدموا أنفسهم على أنهم مستقلون، لا يقيّدهم انتتماء سياسي ولا أيديولوجيا. ومنهم من قال إنه ترك في بلد إقامته في الخارج الوظيفة الرفيعة والراتب الكبير وجاء لخدمة وطنه. ثم انتتموا إلى أحزاب سياسية، وعُيّن بعضهم في مناصب وزارية. ويُطلق عليهم نبز جامع يُستعمل بصيغتين: "القولدن بوي/الفتيان الذهبيون"⁽²⁰⁾. ودُعوا أيضًا بأنباز خاصة، فُسُمي رئيس الحكومة يوسف الشاهد (آب/أغسطس 2016 - شباط/فبراير 2020) بـ"فتى السفارة"، لأنّه كان موظفًا في السفارة الأميركيّة في تونس؛ ودُعي مهدي جمعة وهو رئيس حكومة أيضًا (قانون الثاني/يناير 2014 - شباط/فبراير 2015) بـ"مهدي طوطال"، لأنّه كان يعمل في شركة توتال الفرنسية. وأرادت آمال كربول وزيرة السياحة في

(19) وترجموا النبز بشبيهة هي "سامية هَبْ هَبْ". وـ"هَبْ هَبْ" حكاية صوت الكلب.

(20) ينظر مثلاً: "تونس - الفتىان الذهبيون والمشاريع الصدئة"، حربوشة نيوز، 25/2/2021، شوهد في 5/3/2023، في: <https://shorturl.at/ntNXT>. ويسمون أيضًا "تكنوخراب"، لأنّهم قُدّموا إلى الناس باعتبارهم "تكنوقراطين"، تعلّموا في الخارج ويلكون كفاءات كبيرة، فقلب النبز هذا المعنى وجعلهم مهندسي الخراب.

حكومة مهدي جمدة أن تقول "تسامح الأديان"، فقالت: "تسامح الديون"، فسميت بهذا النبز. ولا يتقن معظم "الفتيان الذهبيين" العربية، ومنهم من لا يتكللها، بل يستعمل اللهجة التونسية واللغة الفرنسية.

تعني ظاهرة الطروء على السياسة دخول أفواج من التونسيين إلى ميدان العمل السياسي بعد الثورة، ومنهم من كان "أمياً" سياسياً⁽²¹⁾، ومن كان محدود الثقافة والخبرة، ولم يكن للأعم الغالب منهم ثقافة سياسية تؤهلهم للتصدي للمشكلات السياسية الكثيرة في بلد كان غارقاً في الدكتاتورية، وذاته الجماعية متخنة بجرح الصراع الأيديولوجي. ومنهم من كان مقيناً في الخارج، موظفاً في وظائف سامية وشركات كبيرة، وكان له تحصيل علمي جيد، لكنه مجرد من التجربة السياسية. وأطلق الحبيب بوعجيلة على الطارئين على السياسة اسم "البدون سيرة سياسية"، وهو نوع من النبز. ولا يعني نبز هؤلاء استثناءً من له تجربة سياسية ومساهمة نظرية أو عملية في العمل السياسي في تونس. بل يعني أن النبز معيار لتقدير السياسيين، فينبع من له تاريخ بتاريخه، وينبع من لا تاريخ له بأنه بلا تاريخ. وتدل هذه المعضلة على أن الثقافة السياسية السائدة مبرمجة لاختراع الانقسام وصناعة الصراع.

تشكل أنياب النواب صورتهم عند الناس: تجردهم من صفتهم النيابية السياسية، وتغمرهم بصفات من اليومي العامي تجتمع فيها معاني "التزغير" و"الطحين" والكذب والجنس... وكل ما ينبع به نائب يلزم عند النابز حزبه، لأنه هو الذي خرّجه وقدّمه وأوصله إلى البرلمان. ثم تكشف الأنياب في تسمية النواب "نواب"⁽²²⁾، وتسمية البرلمان "سِيرِكُ" ، أي إنه ميدان تهريج وتمثيل وضحالة فكرية، و"حمام نساً" ، تعبيراً عن تفاهة كلمات النواب وكثرة خصوماتهم وارتفاع أصواتهم⁽²³⁾ ، و"برخَاب" لسوء أدائه وكارثية نتائجه. ثم تلقى التهمة على سبب خروج السياسيين من السجون ورجوعهم من المنافي وتحررهم من قيود القمع، فيتجه النبز والشتمة إلى الثورة والديمقراطية⁽²⁴⁾ . وتقصد الديمقراطية بالنابز لأنها البيئة التي تترجم فيها أهداف الثورة وتتشكل الوعي وت تكون الثقافة السياسية الديمقراطية. وهنّدت الخصومة السياسية الأيديولوجية للإنقانع بهذه الفكرة، ومثل خطاب الإهانة - ومنه النبز - والثقافة السطحية، طاقة متقددة لإدامة الخصومة والصراع.

(21) نظمت الهيئة الوطنية للدفاع عن الحريات والديمقراطية ندوة "المجتمع المدني والأحزاب: أيام علاقة اليوم؟" ، 3 كانون الأول / ديسمبر 2022، وفيها قال أيمن البوغانمي في مداخلته: إنه ذهب إلى البرلمان في مهمته، فجرى حديث بينه وبين نائبة كانت تتنمّي إلى كتلة برلمانية، ثم خرجت منها. قال: سأيتها عن سبب خروجها، فقالت: اكتشفت أن الكتلة تشكلت لأسباب سياسية! . ينظر: الهيئة الوطنية للدفاع عن الحريات والديمقراطية، "ندوة: المجتمع المدني والأحزاب السياسية، أيام علاقة؟" ، فيسبوك، 2022/12/3، الدقيقة 61 وما بعدها، شوده في 4/3/2023، في: <https://shorturl.at/mAB28>

(22) ينظر ما جمعه أحمد الزوابي: "أحمد الزوابي، منها الزغارة والباراشوك والبراميل .. السجل الجديد للسباب بين الأحزاب والنواب" ، ألترا تونس، 2020/7/18، شوده في 4/3/2023، في: <https://shorturl.at/aGW36>

(23) تختزل التسمية معاني النمية والغيبة وتحسّن الأخبار والأحاديث التافهة والخصوصات البذرية.

(24) من أشهر الأنياب التي ترذل الثورة: "الثورة مؤنث ثور" ، و"ثورة البروبولية" (البروبولية، من الفرنسية Brouette وهي المِنْكَلَة) . والمقصود هنا عربة البوعزيري. وتسمى الديمقراطية "الديمغرافية" (الديمغرافية) (شتمة). ثم كُنْتَ أنياب التجربة الديمقراطية في نبز واحد هو "العشرينة السوداء". ينظر قراءة عادل بن عبد الله في معنى التسمية: عادل بن عبد الله، "العشرينة السوداء" أو الاستعارة الكبرى للقوى الانقلابية في تونس" ، عربي 21، 9/9/2022، شوده في 5/1/2023، في: <https://shorturl.at/pAFJO>

3. الاتجاهات الفكرية والسياسية

يُستخدم لقب "الحفترِيش" لمخاطبة الجموع. وتُطلق هذه المفردة على من يعتبرهم المتكلّم بلا قيمة. فكل من لم يكن عندهم نفع، أو كان كلامهم في مواضيع تافهة، أو كانوا أخلاطًا لا انسجام بينهم، أو كانوا دون مهارة منافسهم وتاريخه (في منافسات كرة القدم خاصة)، فهم عند شاتمهم "حفترِيش". ثم أصبحت في السياق السياسي اسمًا أطلق على مؤيدي خليفة حفتر من التونسيين، وهم خليط من اتجاهات سياسية وأيديولوجية جمعتهم الرغبة في إفشال الانتقال الديمقراطي. ويجمع هذا الاسم بين مفردة "الحفترِيش" بمعناها الأول، ولقب خليفة حفتر (فتح الحاء في تونس)، وصيغة الفعل المضارع "يحفترِ"، ويعني "يتدبّر أمره بأي وسيلة"، ومنه اشتُقَّت كلمة "حفترِي". ولا تجتمع هذه المعاني عند كل من يستعمل لقب "الحفترِيش"، فال فعل "يحفترِ" ، والكلمة المشتقة منه "حفترِي" يُستخدمان في الجنوب الشرقي خاصّة، لكن اقرنّت باللقب دلالة سلبيّة، هي أن "الحفترِيش" أخلاقٌ من الناس لا فكر لهم ولا مشروع ولا مبدأ، وهم شخصيات انتهازية تافهة متقلبة، همّها مصالحها⁽²⁵⁾. وقد يخص به مستعمله المدافعين عن سياسة حفتر في ليبيا، المتّظرين مساعدته لإنهاء التجربة الديمقراطيّة التونسيّة؛ وقد يعمّ به كل من يساند الانقلاب ويعارض الانتقال الديمقراطي من أجل عداوة أيديولوجية أو طائفية أو منافع مادية.

يُطلق "الحفترِيش" أيضًا على المتحرّرين من قيم المجتمع وأخلاقه، والمطالبين بإغلاق الكتّاب وخفض أصوات المآذن، والداعين إلى المساواة التامة بين الرجل والمرأة، والمطالبين بعدم التقييد الحرفي بالأحكام الدينية، والفرانكوفونيّ المدافعين عن اللغة الفرنسية ومصالح فرنسا في تونس. ويسمى هؤلاء بالحداثيين، ويُشتركون على اختلافهم في تأييد انقلاب قيس سعيد على الدستور لأنّه أخرج الإسلاميين من الحكم. وتُطلق عليهم أنيابًا أخرى منها: "أيتام فرنسا" و"الصبايحيّة" و"بيض الجراد" و"أولاد مفيدة" و"حدّوث أحرثوت". والمعنى المباشر في النّبذ الأول⁽²⁶⁾ هو أنّهم أبناء الاستعمار فكراً وثقافة واتّمامًا، فعندما أخرج المستعمّر، بقي هؤلاء من غير حامٍ أجنبيٍّ، ولا نسب تونسيٍّ، فيهم مزدوج.

"الصبايحيّة"⁽²⁷⁾ (م. "صبايحيّ") في العهد الاستعماري، فرق عسكريّة من التونسيين، فرنسيّة التأسيس والتدرّب والولاء. ويعتبرها التونسيون رمز الخيانة. وكثير استعمال الكلمة بعد عام 2011 لنبذ المتهمين بالولاء لفرنسا أو المعادين لـ"الهوية" (العربية الإسلامية)، ونبذ بها أيضًا أتباع نظام بن علي، كما نبذوا بـ"الأزلام" وـ"أزلام بن علي / النظام السابق". إلا أن نبذ "الأزلام" يشير إلى المستفیدين من النظام في

(25) التركيب في صياغة الكلمة يجعلها بين النّبذ والشتيمة.

(26) ينظر مثلاً: أمل المكي، "الفرانكوفونيّون في تونس ... أيتام فرنسا؟ (2/1)"، ألترا تونس، 2018/8/8، شوهد في 3/3/2023، في: <https://shorturl.at/bmnEM>; أمل المكي، "الفرانكوفونيّون في تونس ... أيتام فرنسا؟ (2/2)"، ألترا تونس، 2019/8/8، شوهد في 2023/3/3، في: <https://tinyurl.com/2smkxfht>

(27) ينظر مثلاً: مريم الناصري، "مع إعادة النّبذ في العلاقات مع فرنسا ... عودة مصطلح "الصبايحيّة" إلى الواجهة"، ألترا تونس، 2019/9/29، شوهد في 3/3/2023، في: <https://tinyurl.com/47m2c85f>. وتنطق كلمة "الصبايحيّة" بهمزة وصل خفيفة بعدها صاد ساكنة.

الموقع كلها التي احتلوها، ونبز "الصبايحية" يُظهر معنى الخيانة: خيانة الوطن بموالاة فرنسا، وخيانة الشعب بموالاة النظام الذي تحمي فرنسا. وبين "بيض الجراد" هذه المعاني من زاوية أخرى: ففرنسا (الجراد) لم تغادر الأرض التونسية إلا بعد زراعة بيتها فيها، وللاستبداد أيضًا بيضه. وسيقى الوطن مهددًا في هوبيته وحرية شعبه ما بقي هذا البيض فيه.

أما "أولاد مفيدة"، فعنوان مسلسل تونسي يُبث في رمضان، ويركز تركيزًا كبيرًا على تعاطي المخدرات وزنا المحارم والخيانة الزوجية. ويرى متقدوه أنه لا يراعي حرمة شهر رمضان، ويستغل حقًا دستوريًا هو حرية التعبير، فيبالغ في تصوير آفات اجتماعية لا لمعالجتها، بل ليُلْفِها المشاهد ويعتبرها جزءًا عاديًّا من حياته. ثم اتَّخذ العنوان نبزًا/ اسمًا للداخلين في وصف "الحداثيين". ويقابله في السخرية من الإسلاميين نبز "أولاد الشيخ"، أو "أولاد الغنوши". وقد يُراد بمعنى البنوة النسبَ المعنوي بين المقصود بالنبز والشخص الذي يُنسب إليه؛ وقد يُراد به أيضًا شتيمة جارية على ألسن كثيرين من التونسيين في الخطاب اليومي⁽²⁸⁾. ويتدخل هذان المعنيان (النسب المعنوي والشتيمة) في استعمال آخر هو "أولاد بورقيبة"، الرئيس الأول. فأتباعه يطلقونه على المتسببين إلى خطه الثقافي السياسي، ويفتخرون بذلك. ويستعمله معارضوه لشتم أتباعه بأنهم لقطاء. فقد جمع بورقيبة الأطفال المولودين خارج العلاقة الزوجية في قرى للأطفال تشرف عليها الحكومة، وترعى فيها الأطفال وتعلّمهم، وسمّاهم "أطفال بورقيبة". هذا التداخل في ذهن التونسيين بين المعنى الثقافي السياسي (النسب المعنوي) ومعنى اللقيط في الشتيمة الجارية والعبارة المشهورة "أولاد بورقيبة" هو الذي يوجه النبز في "أولاد مفيدة" و"أولاد الشيخ/ الغنوشي". ويغلب سياق النبز والشتيم والصراع السياسي المعنى الثاني.

من الأنباز التي تُطلق على الجمع "النمط"، سُمِّيت به طائفة واسعة من التونسيين من اتجاهات حزبية وسياسية وفكرية مختلفة، يجمعها "الخطابُ الحداثي"، ومعارضةُ الإسلام السياسي خاصة، ومنهم من يتهمنه معارضوه بـ"معاداة الدين". ويدافع هؤلاء "الحداثيون" عما يعتبرونه نموذجًا تونسيًا فريدًا، ويجعلون من سماته التسامح والانفتاح والحداثة وتحرير المرأة... إلخ، فهو إدًا عنوان افتخار. لكنهم لا يقدمون تعريفًا دقيقًا لـ"النمط المجتمعي التونسي"، وقد لا تدل آراؤهم على دفاع حقيقي عن الحريات واعترافٍ بالمخالف السياسي وإيمان بالتنوع. وقد جعلهم فرط استخدامهم لكلمة "النمط"، وغموضُ شعارهم، وتفاوتُ مواقفهم من الحريات والحقوق والتنوع، ودفع بعضهم عن النظام غير الديمقراطي، غرضًا لخصوصهم. فأصبحت الكلمة نبزًا عامًا يشتمل عليهم. وُخصصت لُختبِتهم بأنباز تنفي ما يقتضيه شعارُهم (الحداثة) من تعدد وحرية وديمقراطية... فُسُمِّيت "الإكليروس الحداثي" وـ"الكنيسة الحداثية" وـ"الكهنوت الحداثي". ونبز من اتهم منهم بالتطبيع الأكاديمي أو الفني أو السياحي... وغير ذلك، بـ"حدَّوتْ أَحْرُبُوتْ"، تحريرًا لاسم الصحيفة الإسرائيلية يدعيوت أحرونوت.

يكشف كل ما يتبادل من أنباز في هذا المعنى عن صراع يقسم المجتمع التونسي وطرفيه الكبارين

(28) العبارة شائعة في الخطاب اليومي التونسي، واشتهرت كثيرًا في قصيدة الشاعر العراقي مظفر النواب "القدس عروس عروبتكم".

الإسلاميين والعلمانيين، ويعبر عنهم نيزان آخران: الأول "تونستان"، ويشير به "الحداثيون" إلى أن غاية الإسلاميين تأسيس دولة دينية متطرفة في تونس؛ والثاني "بنو علمان"، ومعناه عند الإسلاميين أن الحداثة والنظام المجتماعي وقضايا المرأة والجندر ... وما إلى ذلك، شعارات لحقيقة واحدة هي تنصيب نخبة إقصائية، تحتكر الحكم وتتدين بعلمانية متطرفة وتؤبد تبعية تونس لفرنسا خاصة.

4. مفاهيم سياسية

يُقلب "الصاد" "سيّا" في المصالحة/ "المصالحة" ، والمصلحة الوطنية/ "المصالحة" الوطنية. وللنierz صلة بالسلح، ف"المصالحة" تقرن في بعض التدوينات بعبارات منها "السالحون على الشعب الكريم دولةً ومؤسساتٍ". وهو من "نبز المتفقين" ، لأن كلمة السلاح ليست متداولة، ولا معروفة عند عامة الناس.

يُعبر "التصويت" في الانتخابات عن المسؤولية والحرية؛ إذ لا يكون إلا بعد وعي سياسي ورأي وإرادة واختيار عقلي، أو هو تدريب على هذا كله. لكن النierz ينقله إلى جذر آخر، فيسميه "التسوييف" ، وهو الضرب بالسوء في اللهجة التونسية. ومن أمثلته: "حرصاً على" "المصالحة" الوطنية، يجري الآن "تمرير" حكومة الفخفاخ (رئيس الحكومة بين شباط/ فبراير 2020 وتموز/ يوليو 2020)، ثم "التسوييف" لها في الآجال"؛ و"ستكونون محل تسوييف". ويذكر النierz كثيراً، فيتعدى السخرية الظاهرة إلى قصد تشويش الثقافة السياسية الديمقراطية: يشوه المفهوم في الذهن، وينقل المواطن من ممارسة الحرية والمواطنة والشعور بالمشاركة في بناء الديمقراطية إلى الشعور بالوقوع في العبودية.

يُستبدل حرف الذال أيضاً بالضاد، في المناضل والضال، فيقال: "المناذل" و"النذال". وقد اختفى أكثر معاني النضال المعجمية، وغلب على الاستعمال المدرسي واليومي معنى واحد ثبته العمل السياسي في مقاومة الاستعمار والدكتatorية، وهو أن النضال عمل بطلوي من أجل الحرية والكرامة والسيادة. وقلبُ الضاد ذالاً تحريفٌ يمحو كل ما اقترب بالكلمتين من معانٍ إيجابية مستفادة من تاريخ الحركة الوطنية ونشاط المعارضة بعد الاستقلال، ويثبتُ معاني النذالة والخسنة، ويتهم النظام السياسي وأعوانه برفع شعارات الوطنية ومقاومة الدكتاتورية من أجل منافع مادية رخيصة. وهذه صورة راسخة في الذاكرة الشعبية، فكل ما يسميه النظام منذ الاستقلال نضالاً، ويجاري عليه بالمال والأوسمة، يوازيه عند الناس تصنيف سلبي يجمع المتفقين من النظام المستبد برصيد نضال وهمي. فإذا استعمل النierz نفسه في السخرية من المعارضة، أخذت صورة المناضل "الرسمي" في التحيل الشعبي، وعُكست على ضحية الدكتاتورية، فُسمى "مناذلاً". وصار المناضلان/ المناذلان متنافسين في النذالة.

من خصائص هذا النierz أنه عام غير مقيد بالعلمية، يتباينُ به الخصوم جميعهم. ومن نتائج التساهل في استعماله ترذيل قيمة النضال، وازدراء المناضلين الذين سحقتهم دولة التسلط عقوداً طويلاً، وتكوين المجتمع تمثلاً سلبياً لنفسه. فلا يرى التونسي مواطنه إلا نذلاً. ويفرق النierz في ثقافة سياسية سطحية غير ديمقراطية، يُمدّها خطاب الإهانة، فتُخرج في كل يوم أبازاً وشائئم جديدة. وهذه ظاهرة معقدة لا يمكن تفسيرها بالانحراف الأخلاقي، أو الخلل التعليمي، أو ضعف التدين ... إلخ، بل هي هندسة دقيقة من أجل نتيجة محددة: تخريب الثقافة السياسية الديمقراطية وإفشال الانتقال الديمقراطي وتأييد النظام التسلطي.

5. الرئاسة

نجح خصوم الرئيس الأسبق منصف المرزوقي في تثبيت شتيمة صارت علماً له: "الطرطور"، واستعملوا أيضاً نبراً يحرف اسمه إلى "الزقزوقي". وستعمل كلمة "زقزوق" في السخرية، لما قد تحيل إليه من الخفة والجلة. وأطلق النبر بصيغة قريبة على "محسن مزوّق"، فصار "محسن زقزوق" للعلة نفسها، كما يُفهم من نبر آخر هو "محسن مَزْرُوبْ" (أي عجل)، أو لما يروجونه في "معامراته الجنسية" التي ملئوا موقع فيسبوك بالحديث عنها، ولا سيما لما اختار "المفتاح" رمزاً لحزبه "مشروع تونس".

حرّف اسم قيس سعيد، فصار "قيصصعید" و"قيصعید"، وحرّف شعاره "تصحیح المسار"، فأصبح "تسحیح المسار/ المصار". وسمى "الإخشیدی" لتشبيهه وعود السياسيين للشعب بوعود كافور الإخشیدي للمتنبي. ولم تكن الكلمة أول الأمر نبراً، بل كانت قرينة على "ثقافة" سعيد، أو على تميّز لغته. ثم استعملت للسخرية من ثقافته القديمة المحصورة في البرامج المدرسية. لكن تبني أنصاره النبر، وسموا به صفاتهم في فيسبوك (صفحة المنجل الإخشیدي الجارح)، واصنعوا منه الفعل "أخْشَدَ"، أي أمضى فيه الإخشیدي حكمه. فعندما فاز في الدور الثاني من الرئاسيات، قالوا إنه "أَخْشَدَ" منافسه، ولما عزل وزيراً قالوا: "أَخْشَدَه". وسموا "دولته" "الدولة الإخشیدية العظيمة"، وانتسبوا إليه، فتسمّوا بـ"الإخشیديين".

سمى أيضاً "قيسُبُوك" للإشارة إلى أنه لم يفز في الانتخابات الرئاسية بجهة وقارورة مياه معدنية كما يقول أتباعه، بل فاز بجيشه الإلكتروني خفي. واحتُرَع معارضوه "بَوَاسِنَ الْأَكْتَافِ" من احتضانه الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون عندما زار فرنسا. وكنا بهذا النبر عن العمالة لحدث سعيد في لقاء صحافي في باريس عن عدم حاجة فرنسا إلى الاعتزاز عن جرائم الاحتلال، وقوله إن الوجود الفرنسي في تونس كان حماية لا استعماراً⁽²⁹⁾. واستعملوا "الدمية" للإشارة إلى أن الحكم تسيّره قوة خفية إقليمية - دولية، واحتُرعوا نبر "قيس ساطور" لاتهامه بأنه لا يقول الحقيقة، ولا سيما في الوعود بإنجاز المشاريع (المدينة الطبية، القطار السريع ... إلخ). وهذا النبر مأخوذ من اسم رجل تونسي يُدعى "أحمد ساطور"، استُضيف في إحدى القنوات التلفزيونية ليتحدث عن بطولاته، وكان يروي قصصه كأنه يحدث بشيء واقعي، وهو يخترع قصصاً لا حقيقة لها. فصار اسمه مضرب المثل في الكذب.

نبر "زقزونة" لاستعماله هذه الكلمة عندما استقبل نور الدين الطبوبي، ثم قلبها معارضوه على ستة وجوه: "زَقْفُونَة" و"زَقْفُونَا" و"زَقْفُونَ" و"زَقْفَنَة" و"مُزْقَفَنَ" و"زَقْفَة". والأباز الثلاثة الأوائل تطلق على سعيد. والزقزنة سياسته وأسلوبه في الحكم، والمزقفن الواحد من أتباعه، والزقفة أنصاره.

نبر "الضب" لروايته حكاية مئلية فيها كلمة "الضب"، واستعمل النبر مفردة، وفي عبارة "يا دين الضب"، وهي تحريف لـ"يا دين الرب"، العبارة الجاهزة التي يستعملها التونسيون للتعبير عن الاستغراب، وقد يكون استغراً ممزوجاً بحسنة.

(29) جرى الحوار في 23 حزيران/ يونيو 2020. ينظر مقاطع الفيديو وتعليقات التونسيين في: "على فرانس 24، قيس سعيد حول لاتحة اعتذار فرنسا: تونس كانت تحت الحماية وليس الاستعمار المباشر وكما يقول المثل الفرنسي من يعتذر يفهم نفسه"، باب نات، 2020/6/24، شوهد في 6/3/2023، في: <https://tinyurl.com/m6h5ymv2>

أطلق عليه أيضاً "الارتفاع الشاهق" بعدها وصف "الانفجار الثوري التونسي" الذي أوصله إلى الرئاسة بـ"الصعود الشاهق في التاريخ". ولفتت العبارة النظر، لكنها لم تكن نبرًا أول الأمر، ولم تشع مثل "زقونة" و"الضب". فلما فقدت سلع غذائية من الأسواق وتأخر صرف الرواتب عن التاريخ المعهود، وطالت الصنوف أمام المخابز والمغازات، كثُر تداول "الارتفاع الشاهق". ويضاف إليه أحياناً الفعل "يشهد" للتعبير عن أزمة النظام واختناقه.

استعملت أنبار أخرى تصف سعيد بالدكتاتورية والانفراد بالرأي، وأشهرها "الحاكم بأمره" و"صاحب الدستور". والنبر الثاني كثيف الدلالة في التعبير عن رفض مراسيم سعيد لإلغاء دستور عام 2014، وإجراء استشارة إلكترونية وتنظيم استفتاء شعبي وإصدار دستور جديد، أعدّه قيس سعيد، ثم أقره ووّعجه. ويعبر عن هذه المعانى نبر "سِيدُنَا"، وهو في التاريخ لقب كان يطلق على الباي، وفي النبر سخرية معناها أن حدث 25 جويلية (تموز/يوليو) ليس "تصحيح مسار"، بل تأسيس لحكم فردي مطلق، يحاكي استبداد نظام البايات⁽³⁰⁾.

قلب الكاف "مِيمًا" في اسم نادية عكاشة (مديرة الديوان الرئاسي سابقاً)، فقيل "عماشة"، من العَمَش، تعريضاً بعدم الرؤية وسياسة الخبط وغموض المال. ولما استقالت/ أُقيلت ووُصفت بالمستقالة. والكلمة بهذه الصيغة معروفة في موقع الإنترنت، لكن استعمالها في السياق التونسي يشير إلى التضارب في خبر استقالة/ إقالة نادية عكاشة. فقد أعلنت في تدوينة على فيسبوك (24 كانون الثاني/ يناير 2022) أنها استقالت، ورجت الرئيس قبول استقالتها. ثم أصدر الرئيس بعد يوماً أمراً ينهي فيه مهماتها في إدارة الديوان الرئاسي. فاستعمل المعارضون وصفاً يمزج وزن اسم الفاعل (مستقيل) بوزن اسم المفعول (مُقال). وتشير الصيغة إلى غموض الخبر، وتعبر تعبيرًا مكثفاً عن عدم فهم ما يجري في القصر الرئاسي.

6. الجمعيات والنقابات والصحافة

قلب حرف "الجيم" في "المجتمع المدني" "شِينًا": "المشتمع المدني". ولا يحيل القلب هنا على شيء، لكنه نوع من السخرية كما في عبّث التونسيين بطاء "خطبي" في كلام الفيتات، فيكتبون على لسانهن "خَطْشِيَّي"، وهو تحريف مأخذوّد من لهجة الجريد التونسي في نطق الطاء "طَاء" و"شِينًا" مدغّمين. وسمى الصحافي حمزة البلومي بـ"حمزة الفبروكي" لإدانته باختلاق (فبركة، من الفرنسية *Fabriquer*) ملفات إعلامية لتشويه شخصيات ومؤسسات. وقلب لقب لطفي العماري "الحماري"، و"استفِيد" (كلمة تعني الوشاية، وتُطلق على الذين يوظفون النظام السياسي وُشاة)، لأنّه يُفهم بأنه كان يكتب تقارير في خصوم النظام قبل عام 2011. وحُرف اسم نور الدين الطبوبي، الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل، فصار "لَحْلَمِيَّلْعَام" (الأخ الأمين العام)، و"نور الدين كُرْشَة"، و"نور الدين العام التونسي للشغل". والنبر الأول سخرية من كيفية نطق النقابيين صفة الطبوبي، والثاني

(30) ينظر بعض أنبار سعيد: أحمد الزواوي، "الإخشيدى و'قيس بوك' و'نظام قيس' ... طائف ومنحوتات لغوية تفاعلاً مع قيس سعيد"، ألترا تونس، 4/11/2019، شوهد في 3/3/2023، في: <https://tinyurl.com/5zm2pzy8>

يستبدل بلقبه كلمة "كرشة" (أحشاء الخروف)، لأنه كان موظفًا في شركة لحوم، ولذلك يطلق عليه أيضًا: "الجزار" و"المرافرى" (بائع النقانق) تعرضاً بمهمته وضعف تحصيله العلمي. والثالث يمزج اسم الطبوبي باسم الاتحاد، وأطّن أن فيه سخرية من ديمقراطية قيادة الاتحاد، فمواقف المكتب التنفيذي واختياراته لا تعبّر عن مواقف المكاتب الجهوية، وسياسته لا تمثل قواعده المؤلفة من مختلف الاتجاهات السياسية والفكيرية. فكأن قيادة المكتب التنفيذي هي الاتحاد كله. وتراكم هذه الأنماط وما يرافقها من صور وشتائم وواقع⁽³¹⁾ حتى تحجب تجربة الطبوبي النقابية وتساهم في إنهاك الاتحاد العام التونسي للشغل وتجريد الشعب من أكبر منظمة للدفاع عنه. ويعبر عن هذه التبيّحة نبذ مباشر شاع كثيّرًا في تعليقات الإسلاميين، هو "اتحاد الخراب"، ونبذان ساخران: أولهما كلمة "الخيمة" التي استعملها النقابيون للدلالة على أن الاتحاد مؤسسة جامعة للتونسيين، فقلّبها الساخرون نبذًا. فالخيمة في التعبير صورة بدوية رثة، ولا حقيقة لها في الواقع لخضوع الاتحاد في نظر النابزين لغزوه اتجاهات أيديولوجية تعادي الإسلاميين معاداة جذرية. وثانيهما "أكبر قوة في البلاد"، وهو جزء من الشعار النقابي "الاتحاد الاتحاد .. أكبر قوة في البلاد"، ثم قلب نبذًا. فـ"أكبر قوة في البلاد" شعار يصدق في الديمقراطية ويُكذب في دولة التسلط، أي إن الاتحاد كان كبيرًا في عشرية الانتقال الديمقراطي: نظم الإضرابات الكثيرة، وأشرف على "الحوار الوطني"، وشارك في الحكومات. وعندما وقع الانقلاب (25 تموز/ يوليو)، خفت صوته واختفت قوته، بل أيدت قيادته الانقلاب. ومعنى هذه المقابلة في نظر النابزين أن قوة الاتحاد ليست ذاتية، بل هي هبة الديمقراطية، وأنه استعملها لتخريب الانتقال الديمقراطي، فاستحق اسم "اتحاد الخراب".

7. الشخصيات الأكاديمية العامة

حُرف اسم أبي يعرب المرزوقي (أستاذ جامعي ومستشار رئيس الحكومة الأولى في حكم الترويكي) إلى "أبو يضرب التكروري". و"يضرب" فعل يُستعمل في اللهجة التونسية بمعنى "يتناول" و"يأخذ". وـ"التكروري" هو القنب الهندي. وينقل النبذ المقصود به من إنتاج الأفكار (أستاذ فلسفة/ متفلسف) وإبداع الحلول (مستشار) إلى تعاطي المخدرات، يتوجهها ليعطاها!

وُنعت هشام جعيط (ت. 1 حزيران/ يونيو 2021) بـ"الخوانجي" ل موقفه الإيجابي من الرئيس منصف المرزوقي. واتهم يوسف الصديق باتهامه مقدسات الإسلام وشربه الخمر، فُسُمي "يوسف السكير" وـ"يوسف الزنديق". وُسُمي محمد الطالبي (ت. 1 أيار/ مايو 2017) "أبا جهل" وـ"تمساح الصحراء" وـ"المومياء".

وتدل أنماط أخرى على احتقار المثقفين عامة، ومن أشهرها "النقبة المثقفة" وـ"المُمحّم". ويُطلق أولهما على نخبة "التيار الحداثي" الذي يسمى في أنماط أخرى "النّمط" وـ"الحدّثوت" ... وـ"النقبة"

(31) من أهمها مشاركة الاتحاد في حكومات الانتقال الديمقراطي، ثم انقلابه على تاريخه بتسميتها عشرية الانتقال بـ"العشيرة السوداء"، وعقد المؤتمر الاستثنائي (تشرين الأول/ أكتوبر 2020)، على الرغم من معارضته قيادات نقابية رفضت تأسيس الفصل 20 من القانون الأساسي. وعقد المؤتمر وفتح الفصل الذي يشرط الترشح لعضوية المكتب التنفيذي بولايتين فقط. وتمكن قيادة الاتحاد من تجاوز هذا الشرط. فوصفها نقابيون بالانقلابية، وطالبوها باحترام مبادئ الديمقراطية.

هي الثقب، ومعناها في النِّيَّزِ أنَّ هُؤُلَاءِ لَا يَتَجَوَّنُ شَيْئًا مُفْدِيًّا، كَالثقبِ لَا يَمْسِكُ شَيْئًا. ولَهَا أَيْضًا معنًّا جنسيٌ سلبيٌ Passive، وهو المقصود عادةً.

"الْمُحَمَّمُ" هو المفكر، من الفعل "يَحْمِمُ" أي يفكر في الشيء. وكثيراً ما يدل الفعل في الاستعمال على الحيرة والتردد والعجز. وأهم دلالات النِّيَّزِ الاحتقارُ بِحُصْرِ مُشَاغِلِ "الْمُحَمَّمِ" في ما لَا نُفْعُ فِيهِ، وقد يضاف إلىه نعت سلبي لزيادة الازدراء، كما في "الْمُحَمَّمُ الْأَنْقِيَادِيُّ"، أي "المفكر القيادي".

تسقط من الاعتبار في معاملة هذه الشخصيات قيم احترام العلم والفكر والمثقف والكبير كلها، وتنكمش مساحة الحوار، ويصبح النِّيَّزُ لغة تخاطب، ومعيار تقييم. ومعظم مستعمليه كتلة بشرية تجمعها ثقافة عامة سطحية تشكل بنية تفكير عامة، وإن بدت في ظاهر مواقفها متباعدة الاتجاهات الفكرية والسياسية. ويعمل النِّيَّزُ - وهذا دوره الخطر - على محو التمايز بين النخبة وال العامة/ العامي، ويسقط النخبة من مكانتها الاعتبارية، ويرقي العامة إلى مرتبة التقييم والحكم والقيادة.

ثالثاً: النِّيَّزُ وِالتِّقَافَةِ السِّيَاسِيَّةِ

بيَّنَتُ في الفقرة السابقة أنَّ الأَبْنَازَ تَعْلُقُ بِجَمِيعِ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مَفْهُومُ التِّقَافَةِ السِّيَاسِيَّةِ، وَذَكَرْتُ فِي استنتاجات جزئية أنَّ الأَبْنَازَ في مرحلة الانتقال الديمocrاطي خطابُ ثقافة سياسية. وهو ما سأوضحه الآن ببيان انقسام النخبة التونسية وفشلها في إنجاز التسوية السياسية.

تُقْسِمُ النِّيَّبةُ التُّونِسِيَّةُ إِلَى تِيَارَيْنِ كَبِيرَيْنِ: الْأَوَّلُ "الْعَائِلَةُ الْدِيمُقْرَاطِيَّةُ"⁽³²⁾، وَهُذَا هُوَ اسْمُهَا الْجَامِعُ وَعَنْوَانُ هُوَيْتِهَا وَشَعَارِهَا السِّيَاسِيِّ. وَتَخَصُّصُ بَنُوَّاتُهُ، مِنْهَا الْحَدَائِيَّةُ وَالْوَطَنِيَّةُ وَالْقَدِيمَيَّةُ وَالْجَمَاعِيَّةُ وَالْدَّسْتُورِيَّةُ وَالتَّجَمُعِيَّةُ. وَقَدْ يَكُونُ النَّعْتُ تَأكِيدًا لِلْاسْمِ وَمَرَادِفًا شَارِحًا، مِثْلُ "الْعَائِلَةُ الْحَدَائِيَّةُ"، حِيثُ يُشَيرُ النَّعْتُ إِلَى مَشْرُوعِهَا، وَهُوَ الْحَدَائِيَّةُ الْفَكْرِيَّةُ وَالْسِّيَاسِيَّةُ بِمَرْجِعِيَّتِهَا الْغَرْبِيَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ تَمِيزًا لِلْعَائِلَةِ الْدِيمُقْرَاطِيَّةِ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ التِّيَارَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، أَوْ تَمِيزًا بَيْنِ الاتِّجَاهَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الْمُمْتَنَيَّةِ إِلَيْهَا. فَصَفَّةُ "الْوَطَنِيَّةِ" تَضَمِّنُ تَمِيزًا بَيْنِ الْأَحزَابِ الْعَلَمَانِيَّةِ وَالْأَحزَابِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَالْكَلِمَتَانِ مُتَقَابِلَتَانِ فِي الْاسْتِعْمَالِ. وَصَفَّةُ "الْقَدِيمَيَّةِ" تَمِيزُ الْيَسَارَ وَالْقَوْمِيَّنِ فِي "الْعَائِلَةِ الْدِيمُقْرَاطِيَّةِ". وَصَفَّةُ "الْاجْتِمَاعِيَّةِ" تَمِيزُ الْيَسَارَ أَيْضًا لِتَبَيَّنِهِ شَعَارُ الدِّفَاعِ عَنْ حُقُوقِ الْعَمَالِ وَالْطَّبَقَةِ الْوَسْطَى، وَنَعْتُ "الْدَّسْتُورِيَّةِ" يَمِيزُ الْمُتَسَبِّبِيْنَ إِلَى الْحَرَكَةِ الدَّسْتُورِيَّةِ/ حَزْبِ الدَّسْتُورِ، وَأَعْنِي بِالْمُتَسَبِّبِيْنَ إِلَيْهَا الَّذِينَ يَطْلُبُونَ رِيعَهَا السِّيَاسِيِّ وَالْجَمَاعِيِّ، فَيَرْفَعُونَ شَعَارَاتِ الْحَرَكَةِ الدَّسْتُورِيَّةِ بَعْدَمَا ذَهَبَ مُؤْسِسُوهَا وَزَعْمَاؤُهَا. وَقَدْ تَخَصُّصَ "الْعَائِلَةُ الدَّسْتُورِيَّةُ" بِصَفَّةِ "التَّجَمُعِيَّةِ" لِتَسْمِيَّةِ الْمُتَسَبِّبِيْنَ إِلَى "الْتَّجَمُعِ الدَّسْتُورِيِّ الْدِيمُقْرَاطِيِّ" (حَزْبُ بَنِ عَلِيِّ). وَهِيَ تَسْمِيَّةٌ تَرْجُمُ الصراعَ عَلَى الإِرْثِ الْبُورْقِيَّ الْتُّونِفِمِبِرِّيِّ⁽³³⁾. وَتَنْتَهِيُّ "الْعَائِلَةُ الدَّسْتُورِيَّةُ"

(32) يراجع: عادل بن عبد الله، "هل توجد 'عائلة ديمocrاطية' في تونس"، عربي 21، 30/8/2019، شوهد في 2023/3/3، في: <https://tinyurl.com/2taevstx>. ويعتبر بن عبد الله من أكثر الكتاب التونسيين نقداً لـ "النِّيَّز" والمنظومة القديمة والتوافق بالصيغة التي جرى بها.

(33) استعمال تونسي يعني إرث بورقيبة الرئيس الأول، وإرث بن علي الرئيس الثاني. والتونفمبري نسبة إلى تشرين الثاني/ نوفمبر 1987، الذي وقع في اليوم السابع منه انقلاب زين العابدين بن علي على بورقيبة.

بجميع اتجاهاتها إلى "السردية البورقية" التي تعتبر نفسها ممثلة التنوير والحداثة في تونس: تأسيساً وتطورياً وحماية، وترفض أن يكون لها شريك إلا بشرطها، وفي إطارها. لكن مواقف مكونات هذه العائلة من الديمocrاطية متفاوتة، فمنهم من يدافع عنها، ومنهم من يتحفظ عن مشاركة الإسلاميين مثلاً، أو عن محالفتهم، ومنهم من يرفع الشعارات الديمocrاطية، ولا يتعدد في دعم الدكتاتورية.

والتيار الثاني الإسلاميون، وأعني في هذا البحث حركة النهضة خاصةً، لأنها أكبر حزب إسلامي منظم، أعلن عن نشاطه السياسي منذ 6 حزيران/يونيو 1981، ولها اليوم قاعدة شعبية واسعة، وساهمت في عملية الانتقال الديمocrطي. وهم يعتبرون الديمocratie أمراً وجودياً، ويجدون أنفسهم مضطرين إلى الانتظام في العملية الديمocratie والدفاع عنها، ويررون أن أجهزة الدولة ومؤسساتها ومنظومة الحكم فيها تشتراك كلها في رفضهم، وأن لا سبيل إلى الاعتراف بهم جسماً قانونياً، وشريكًا في الحكم محتملاً، ومواطني محفوظة حقوقهم، إلا في تجربة ديمocratie ناجحة. لكن حاجة النهضة إلى الديمocratie في مؤسسات الدولة ليست كحاجتها إليها داخل مؤسساتها. وقد بدلت من زعيمها قرارات غير ديمocratie في حركته، منها تصرفه في نتائج الانتخابات الداخلية في عام 2019 (إسقاط عبد اللطيف المكي وبعد الحميد الجلاصي مثلاً من قائمات تونس الكبرى وتعيين الأول في دائرة الكاف، والثاني في دائرة نابل، ليتمكن الغنوشي من الترشح لمجلس النواب في دائرة تونس).

تدل الأنماز على أن خصوم "العائلة الديمocratie" يتمثلون طبيعتها ومشروعها وشعبيتها ودورها مثلاً أيديولوجيًّا؛ فيعتبرونها ديناً مغلقاً لا فلسفة متطورة (الإكليروس الحداثي، الكنيسة الحداثية، الكهنوت الحداثي، النمط، بنو علمن). ويررون أنها تعتبر نفسها الديمocratie الوحيدة، وترفض كل من وجد خارجها. وأنها استطاعت تثبيت هذه "العقيدة" باستقرار منظومتها في السلطة منفردةً بها من موقع الحكم والمعارضة معًا منذ الاستقلال. وحفظَ توازنها وهيمتها التدافعُ الداخلي بين ألوانها (الحداثية، العلمانية، الوطنية، التقدمية، البورقية، الدستورية، التجمعية) وهو ياتها الجهوية (بلدية أصيلو الحاضرة تونس، والمقصود عائلات النفوذ خاصةً)، سُواخلية (سكان الساحل⁽³⁴⁾، وقد بقيت نخبة منهم في السلطة منذ الاستقلال) ومصالحها (اقتصاد الربيع، الزبونية ... إلخ).

يررون أيضاً أن مشروعها حكمٌ تسلطي وتغريبٌ في الثقافة والتقطيع (الشبيحة، البراميل المتفجرة، النمط، النقبة الثقافية، أولاد مفيدة، حدثت أحربنوت). وليس الإيمان بالديمocratie وضرورتها للمجتمع مسألة مبدئية في التيار المهيمن على العائلة، فمعنى الديمocratie عندها هو حفظ "سلامتها الوطنية" التي يعبر عنها نizer "النمط". وعنوانه الكبير النمط المجتمعي التونسي؛ ومُضماراته النسخة البورقية من المشروع الحداثي في الفكر والثقافة والسياسة والاجتماع، ومنافع الدولة المادية والرمزيّة، وحراسة حدود "العائلة الديمocratie".

(34) الساحل منطقة ساحلية في الوسط الشرقي التونسي، تتكون من ثلاث ولايات (محافظات): سوسة والمنستير والمهدية. وهي مناطق حضرية قديمة. وكان الرئيس الأول الحبيب بورقية من المنستير، ففضل الساحل في التنمية والمناصب الحكومية. ويدرك منير الشرفي أن ربع الحكومة كان من المنستير طوال حكم بورقية الذي استمر ثلاثين عاماً. ينظر التفاصيل في: منير الشرفي، وزراء بورقية، ط 2 (تونس: دار أبو لونينا، 2017).

هي عندهم أقلية لا شعبية لها ولا وزن (صفر فاصل⁽³⁵⁾، حفتريش) على طول استشارها بالحكم الذي مكّنها من وسائل الدولة للاتصال بالناس وهندسة التعليم وصناعة الثقافة ... إلخ، فهي لذلك لا تقبل الديمقراطية، ولا يضمن بقاءها وسيطرتها ومصالحها، إلا الأنظمة الدكتاتورية.

هي في نظرهم وظيفية في دورها (أيتام فرنسا، الصبّاحية، بيض الجراد، اليسار الوظيفي، بنو طحنون، طحاجين) تقود الثورة المضادة، وتنفذ مشروعًا استعماريًا فرنسيًا خاصّة. وتنعمها وظيفتها من المشاركة في انتقال ديمقراطي يؤسس لحكم وطني مستقل استقلالًا حقيقاً.

لكل وجه من هذه الوجوه ما يقابلها في تمثيل العائلة الديمقراطية للإسلاميين. فهم "دواعش" يتظاهرون بالاعتدال، ويختفون مشروع "أسلمة" المجتمع واضطهاد المرأة (تونستان)، ويحاولون اختراق مؤسسات الدولة (غواصة) للتمكّن لأتباعهم ونهب اقتصاد البلاد (نهاة، نكبة، تعويضات)، ويوظفون الدين في غيّاياتهم السياسية، ولو لا ذلك ما كثر أتباعهم (تجار الدين)، ويتلقون التعليمات من تركيا وقطر (قردوغان، قطرائيل) ويفرّطون في استقلال الدولة وسيادتها.

المجال الكبير الذي نشط فيه النبذ هو معضلة التعايش بين العلمانيين والإسلاميين، ففيه يتجدد صراع سياسي ما زال محكومًا بإرث الخصومة الأيديولوجية بين التيارين منذ أواخر السبعينيات في الجامعة، ولم تتمكن المراجعات القليلة⁽³⁶⁾ من تخفيف حدة الانقسام ومحاصرة الخطاب السلبي المانع التقارب السياسي. وفيه يخوض الطرفان صراعاً أيديولوجياً حاداً وُظف لإذكاء العداوة وتعزيز الانقسام الاجتماعي. وقد أنتج هذا الواقع مشهدًا مركبًا ملتبساً: عداوة أيديولوجية موروثة، وخصوصية فكرية غير متنّجة، وحكومات رخوة، ونقابات متطاولة، وإعلام موجّه، وأزمات اجتماعية واقتصادية وأمنية متراكمة، وانتقال ديمقراطي متعرّض بعد ثورة لم يستعد لها أحد، ولم توجّهها قيادة معروفة.

في واقع الانقسام الاجتماعي الحاد، قادت هذه النخبة الانتقال الديمقراطي، وكان يُتّظر منها إجراء تسوية سياسية "تاريخية" ليعيش العلمانيون والإسلاميون، ويتجاوزوا صراع الهوية الذي حكم العلاقات بين التيارين. فتعترف "العائلة الديمقراطية" بدخول ألوان جديدة في الحياة السياسية القانونية، أهمّها اللون الإسلامي بيهويته العربية الإسلامية وانتماهه الاجتماعي الهاشمي ومصالحه الرمزية والمادية. وقد وُجدت في "العائلة الديمقراطية" شخصيات تدعو إلى التوافق مع حركة "النهضة" (أكبر حزب سياسي إسلامي) من أشهرها الباقي قايد السبسي (رئيس الوزراء في الفترة

(35) "صفر فاصل" نبذ أطلق على الأحزاب اليسارية والقومية والليبرالية التي كانت نسبة نتائجها في الانتخابات ضئيلة جدًا، ويعني أن لا وزن لها في الواقع، ولا شعبية.

(36) أهم نصوص المراجعة وثائق "هيئة 18 أكتوبر للحقوق والحريات". ينظر: "وثائق هيئة 18 أكتوبر للحقوق والحريات بتونس"، نشاز، شوهد في 3/3/2023، في: <https://shorturl.at/CEW49>. وهيئة 18 أكتوبر هي إطار عمل سياسي شكلته شخصيات وأحزاب تونسية معارضة في كانون الأول / ديسمبر 2005. في مراجعات المسلمين في تونس، ينظر: صالح كركر، الحركة الإسلامية وإشكاليات النهضة (باريس: [د.ن.], 1998)؛ ينظر أيضًا دراسة مقارنة بين مراجعة صالح كركر (تونس) وسعد الدين العثماني (المغرب) في: الأرهر الصقرى، "الإسلام العلماني أو العلمانية المقنعة"، مركز نهوض للدراسات والبحوث، 2021/3/29، شوهد في <https://shorturl.at/vCDVY>، في: 2023/3/6

شباط / فبراير 2011 - كانون الأول / ديسمبر 2011؛ ورئيس الجمهورية بين كانون الأول / ديسمبر 2014 حتى وفاته في 25 تموز / يوليو 2019). واعتبر توافق الشيختين (لقاء السبسي والغنوشي في باريس في 15 آب / أغسطس 2013) شرطاً ضرورياً لبناء ثقافة سياسية جديدة، تتجاوز تاريخ الإقصاء والاستقطاب الثنائي بين الدسترة والإسلاميين. لكن ثقافة النبذ سرعان ما اشتملت على هذا التوافق، فنعت الباقي بـ"البيّون"، ووصف خطاب التوافق والوحدة الوطنية بأنه خطاب تكاذب، تستهلكه نخبة سياسية ولوبيات لا تطلب به إلا مصالحها الخاصة، وقاوم معارضوه من "العائلة الديمocrاطية" تحوله إلى "تسوية تاريخية"، وبحسوه في حدود "التوافق بين الشيختين"، وشاركتهم معارضوه من الإسلاميين في تسميتها "التوافق المنشوش"، ووصف بعض الإسلاميين قادتهم بـ"الأيدي المرتعشة" لعجزهم وخضوعهم لشروط المنظومة القديمة. ومن مواقف العجز التي يعددونها مساهمة الإسلاميين في إسقاط "قانون تحصين الثورة" في أيار / مايو 2014، والتصديق على "قانون المصالحة الوطنية" في أيلول / سبتمبر 2017، وـ"التطبيع" مع المنظومة القديمة التي كانوا يتهمونها باضطهادهم قبل الثورة، والاعتراف بأن التوافق ينبغي له أن يكون في "بيت بورقيبة"، أي بالانتظام في السردية البورقيبية.

يعني انتشار الأنماز وحماسة الناس في ترويجها واستواؤهم في استعمالها، العامي والمتعلم والصحافي والأستاذ والجامعي ... إلخ، أن النبذ تعبير عن ثقافة سياسية غير ديمocratie، تكونت قبل الثورة والانتقال الديمocrاطي، وليس في قيمها ومفاهيمها الإيمانُ بالرأي المخالف والتعدد والحرية والديمocratie ... إلخ، وإن هي رفعت الشعارات الديمocratie كلها. وتساهم الأنماز في تفسير عجز النخبة التونسية في مرحلة الانتقال الديمocrاطي. فالأنماز في التعبير به عن الموقف السياسي والفكري ينحط بالنخبة إلى عامية الجمهور، ويصبح متوجاً لسلوكها / انفعالها السياسي، ويتحتت (يُسقط) قيمتها الاعتبارية عند الناس.

خاتمة

النبذ في عشرية الديمocratie في تونس مدخل لدراسة الثقافة السياسية، يبيّن جانباً مهمّاً من خطة محاصرة الديمocratie وقتل السياسة لإعادة نظام التسلط، ويشرح كيف ساهم أنصار الثورة أيضاً في الوصول إلى هذا المصير وهم يظنون أنهم يبنون الديمocratie. ويمكن استنتاج خلاصتين مما تقدم:

الأولى أن الأنماز تبيّن تاريخية الثقافة السياسية وقوتها صلتها بالنظام السياسي والنظام الاجتماعي. فخطاب الإهانة، ومنه النبذ، لم تتجه الثورة ولا الديمocratie، لكنه ثمرة ثقافة سياسية تشكلت في دولة التسلط والاستبداد، ثم استعملتها أدواتها بعد الثورة لتعطيل الانتقال الديمocrاطي وإفشاله. ولم يكن ممكناً، بعد ثورة مفاجئه، التحكم في العادات الكامنة والأحقاد القديمة والجروح النفسية الغائرة، ولا تكوين ثقافة سياسية ديمocratie دفعة واحدة. فاهمت التونسيون بالشأن العام وخاصوا في قضايا الانتقال بثقافتهم السياسية المكسبة، ولم يتبيّن أنصار الثورة والديمocratie إلى ضرر مجازة النماز والشاتم، فلم يقتضدا في استعمال خطاب الإهانة وهم يظنون أنهم يدافعون به عن الديمocratie ويؤسّسونها. الثانية أن الأنماز تبيّن وجود مسارين متوازيين: الأول متخلّل هو الانتقال الديمocrاطي بجميع مفرداته: الحرية، الديمocratie،

حقوق الإنسان، المواطن، البرلمان، النظام البرلماني، المجتمع المدني، التأسيس، التوافق ... إلخ. وهو متخيّل لأنّه مسار خطابي في جوهره، لم يكن البناء الديمقراطي فيه ترجمة لثقافة سياسية ديمقراطية مشتركة، ولم يُراكم المنجز السياسي نتائج اقتصادية تتعكس على واقع الناس. والثاني واقعي هو الانقسام المفضي إلى عودة نظام التسلط بأتوازه كلها: النكبة، النهبة، البرخرب، اتحاد الخراب، صفر فاصل، الزغراطة، العيطة، الحارزة، الإكليروس الحدائي ... إلخ، وهو واقعي لأنّه منجز جماعي، هندسه وقاده خصوم الديمقراطيّة، وشارك فيّ بغير وعيّ أنصارها، ولأنّه تعبير عن الثقافة السياسية المحددة للموقف السياسي، الموجّهة إلى النخبة وجمهور الأحزاب من المتعلّمين ومن عامة المواطنين. وتدلّ سهولةُ اختياع النبذ وكثرة تداوله وسرعة انتشاره وإطلاقه على كل شيء واستواء الناس في استعماله على أنه صار مكوّناً مركّزاً في الثقافة السياسية التونسية، واستبُدل بالخطاب السياسي المنظم المعقّل. فتناول مؤسسي دولة الاستقلال والشخصيات المعارضة والشخصيات العلمية والمفاهيم السياسية والأحزاب ... إلخ، وعمّم "منهج" نبش العيوب في تقييم الأشخاص و"نقد" الأفكار حتى غداً الموقف السلبي معياراً مهيّمناً في تحديد الرأي السياسي. وأدى هذا كله إلى تبديد المعنى السياسي وتعيم السخرية والتفاهة، وضرب إمكان التفاهم في إطار سياسي ديمقراطي: أصاب الذّاكرة المشتركة، فصار الماضي الوطني موضوعاً لنزاع مستمر، وعمّق الانقسام الأيديولوجي والاجتماعي والجهوي لإفشال الانتقال الديمقراطي والحلولة دون نجاح الديمقراطيّة واستقرارها.

تنويع وتقدير

أشكر أصدقاء كراماً ساعدوني في إنجاز هذا البحث: سمية المكي (جامعة قطر، كلية الآداب والعلوم) التي قدمت قائمة مركزة في مقالات لسانية في خطاب الإهانة، وعبد الله تروأيتْ (جامعة قابس، المعهد العالي للعلوم الإنسانية في مدنين، تونس) لجهده الكبير في توفير قائمة طويلة في دراسات لسانية لخطاب الإهانة بالفرنسية، وقرأ الأزهر الصقرى (جامعة قابس، المعهد العالي للعلوم الإنسانية في مدنين) مخطوطة الدراسة، وأبدى ملاحظات نقدية رصينة، وأفادني بمعرفته الدقيقة بالمشهد السياسي التونسي.

References

المراجع

العربية

ابن أبي الضياف، أحمد. إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان. لجنة من وزارة الشؤون الثقافية (محرر). تونس: الدار العربية للكتاب، 2001.

بشرة، عزمي. في المسألة العربية: مقدمة لبيان ديمقراطي عربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007.

_____. الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

- الشرفي، منير. *وزراء بورقية*. ط 2. تونس: دار أبولونيا، 2017.
- الصقرى، الأزهر. "الإسلام العلماني أو العلمانية المقنعة". بحوث ودراسات. مركز نهوض للدراسات والبحوث. 2021/3/29. في: <https://shorturl.at/vCDVY>
- الطريحي، الشيخ فخر الدين. *مجمع البحرين*. تحقيق أحمد الحسيني. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 2007.
- كركر، صالح. *الحركة الإسلامية وإشكاليات النهضة*. باريس: [د. ن.]. 1998.
- لينك، بروس ج. وجو ك. فيلان. "مفهوم الوصمة". ترجمة ثائر ديب. عمران. مج 8، العدد 31 (كانون الثاني / يناير 2020).
- المنشاوي، عمرو. *قاموس الشتائم المصرية: أصول وحكايات الشتائم*. القاهرة: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع، 2017.
- النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى. *كتاب فرق الشيعة*. عنى بتصحيحه هلموت ريتز. النشريات الإسلامية 4. إسطنبول: مطبعة الدولة، 1931.
- "وثائق هيئة 18 أكتوبر للحقوق والحريات بتونس". نشاز. في: <https://shorturl.at/CEW49>
- ### الأجنبية
- Addas, Reski Kartini. "Analysis of Insult as Humor in the Context of Politics Through Stand-up Comedy Show." *Journal of Language, Literature and Teaching*. vol. 4, no. 2 (2022).
- Adjano'houn, Maxime J. R. & Julien K. Gbaguidi. "Analyse substantielle des énoncés insultantes en Fongbè." *Akofena*. no. 3 (Octobre 2020).
- Ben Rejeb, Bourguiba (dir.). *Le parler révolutionnaire: Ruptures et dérives*. Tunis: Institut Supérieur des langues de Tunis, 2017.
- "L'injure, la société, l'islam une anthropologie de l'injure." *REMMM*. no. 103–104 (2004). at: <https://bit.ly/3O0RlfR>
- Lagorrette, Dominique et al. *Les insultes en français: De la recherche fondamentale à ses applications*. Chambéry: Presses universitaires Savoie Mont Blanc, 2009.
- _____. "Insultes et conflit: De la provocation à la résolution–et retour?." *Akofena*. no. 3 (Octobre 2020). at: <https://shorturl.at/cfhCP>
- Larguèche, Évelyne. "Adresse indirecte et injure?." *Cahiers de littérature orale*. vol. 7 (2011).
- Leguy, Cécile & Évelyne Larguèche (dir.). "L'adresse indirecte ou la parole détournée." *Cahiers de littérature orale*. vol. 7 (2011). at: <https://shorturl.at/BMX78>

Leong, Alvin Ping. "The Language of Insults: A Look at Theme, Rheme and Negative Inferences." *Explorations in English Language and Linguistics*. vol. 10, no. 1 (2022).

Masquelier, Bertrand. "Dire et chanter des mots qui fâchent." *Cahiers de littérature orale*. vol. 7 (2011).

Mellet, Caroline (dir.). "De l'insulte." *Cahiers de praxématique*. vol. 58 (2012).

Oger, Claire. "La conflictualité en discours: Le recours à l'injure dans les arènes publiques." *Argumentation et analyse du discours*. Août 2012. at: <https://shorturl.at/DINS7>

Rosier, Laurence. *Petit traité de l'insulte*. Charleroi: Editions Labor, 2007.

_____. (dir.). "Insulte, violence verbale, argumentation." *Argumentation et analyse du discours*. Août 2012. at: <https://shorturl.at/ekxzH>

Corbier, Mireille & Gilles Sauron (dir.). *Langages et communication: Ecrits, images, sons*. Paris: Éditions Du Comité Des Travaux Historiques et Scientifiques, 2017.